

من مكتوبات الشهيد العربي في الشعر الجاهلي

د. اسماعيل أحمد العالم
جامعة اليرموك

«اعلم ان الحروب وانواع المقاتلة لم تزل واقعة في الخليفة منذ برأها الله. واصلها ارادة انتقام بعض البشر من بعض، ويتعصب لكل منها اهل عصبته. فاذا تدامروا لذلك وتواقفت الطائفتان، احدهما تطلب الانتقام، والاخرى تدافع، كانت الحرب. وهو امر طبيعي في البشر لا تخلو عنه امة ولا جيل».

«مقدمة ابن خلدون، ج ٢، ص ٨٢٣» (١)

عند التحليل والتأمل نجد ان هدف كل حرب هو تحقيق السلم، لأن البشر انما يقتلون من اجل احلال شكل من اشكال السلم كلما اعوزتهم صيغ التفاهم السياسية. وقد عدت الحرب مواصلة للسياسة بوسائل اخرى، اي انها لا تعدوا ان تكون وسيلة. وهي لئن عدت وسيلة «عنيفة» فهي ليست على ما يبدو اكثر من السياسة عنفا. ولما كانت العلاقة بين الحرب والسلم هي العلاقة بين القوة والقانون، فان السلم، اي القانون، ينفي الحرب وينقضها، غير انه لا يتحقق في الأغلب الأعم الا من خلالها، والحجة في ذلك ان اغلب الحروب انتهت باتفاقيات سلم وعقود صلح.

ومن المفيد لهذا البحث ان نتعرف الى المعاني التي تدور عليها مادة «ح. ر. ب»، فهي عند ابن منظور فعل وشعور وحالة، فالحرب فعل مترجمه الاغارة والسلب والنهب والسبي والتقتيل، فهي تارة غارة اذا كانت سريعة خاطفة فجئية، وكانت من

طرف واحد، وكان هدفها الأساس النهب، وطورا حرب صراح اذا اتسع مداها واستعد لها الطرفان وكانت اكثر تعقيدا وأوخم نتائج . والحرب شعور، دلّ على ذلك وجود «حرب» بمعنى اشتد غضبه، و «أحزني» بمعنى غضب وتهياً للشر. والحرب حالة، تقصر او تطول، اي وضع نفسي هو وضع التعبئة النفسية والمادية تحفزا للقاء عدو او تحسبا لهجوم مباغت منه(٢).

وكانت الصلات القبلية في الجاهلية قد اسست على العداة والحروب المتوالية لغياب السلطة المركزية المنظمة، ولم يكن السلم يحيم الا عند اتفاق قبيلتين او اكثر عليه، وشجع نمط الحياة القائمة على الرعي والترحال وعدم وجود ملكية مضمونة الجاهليين على ان تنشأ بينهم ظاهرة الاغارة، ودربتهم خصوصيات شبه جزيرة العرب الجغرافية على الهجوم من بعد، فرسخت فيهم التقاليد الحربية، واصبحت الحرب وظيفة اجتماعية من اهم وظائف الحياة، بل ان حياتهم كانت «دامية حراء لا تهدأ نارها ولا يحمد اوارها، وكانت القبائل في حركتها الدائبة من اجل لقمة العيش وجرعة الماء ونعرة السيادة، لا تكاد تنفض ايديها من وقعة من الوقائع حتى تغيرها في وقعة اخرى. وكانت الحياة العربية فيما قبل الاسلام بحق اياما وحروبا مستمرة»(٣).

ولعل المبرر لتتبع مكونات المشهد الحربي في الجاهلية يعود الى ان الانسانية قد قطعت من عمرها قرونا طويلة منذ وجد الانسان الأول الى اليوم، تطورت فيها الحياة، وخطا الجنس البشري فيها خطوات كثيرة جدا في سبيل التقدم الذي يسمونه المدنية والحضارة، فقد يجد الباحث المدقق ان السبب الذي كان الانسان الأول يحارب من أجله وهو في بدء حياته في طور الطفولة الانسانية ودور الهمجية، هو السبب نفسه الذي يحارب من اجله الانسان وهو في درجة عالية من المدنية والحضارة. لكن مما لا شك فيه ان اساليب الحروب وادوات القتال، وطرقه، ووجهات النظر تتغير تغيرا كبيرا في كل طوره عن سابقه، تبعا للتطور في التفكير، والتوسع في العلم، والازدياد في الكشف والاختراع.

ولا ريب ان الانسان، بحكم ما في غرائزه من حب للاستطلاع، يلد له ان يقف على مكونات المشهد الحربي في الجاهلية، فيتبع العدد والعدة التي تشتمل رفاق القتال من ناحية، والخيال والسلاح من ناحية اخرى. ويتبع المعركة، ويقف عند

ابطالها ليتعرف الى صفاتهم وخصالهم الحربية وادائهم واخلاقهم العسكرية، كما يقف عند العدو للتعرف الى حال قدومه لأرض المعركة، وما حل به من فرار وتقتيل وتجريم واسر.

العدد والعدّة:

من الطبيعي ان يتحدث الشاعر الجاهلي عمّن يشنون الحروب والغارات وما يتصفون به من حزم وقوة عنف وتصميم على طلب الوتر واخذ الثأر. وان يتحدث عن عدّة الحرب، فالعدد والعدّة ركن يحتوي على معطيات التعبئة المادية والنفسية الضرورية لكل حرب مهما كان حجمها، ويشمل عند شاعر الجاهلية رفاق القتال والخيل والسلاح.

أ- أما رفاق القتال:

فكان يهتم بخصالهم النوعية لا العددية، واهم هذه الخصال الشجاعة، وهي الانتصار الداخلي على النفس والتغلب على هواجسها ومخاوفها، وعدّ ذلك خطوة اولى ضرورية للتغلب على الخصم. يقول طرفة بن العبد(٤):

ولو كُنْتُ، وِعْلاً في الرجال لَضْرَفِي عداوةُ ذي الأَصْحَابِ والمُتَوَحِّدِ
ولَكِنْ نَفِي عني الأَعادي جَرَأِي عليهم واقْدامي وصدقي ومحتدي
فالرجولة الحقة هي التي تتمثل في الشجاعة والفروسية والاقدام وخوض الحروب وكسب المغانم وتحمل المكاره.

ويفخر عمرو بن كلثوم بنفسه وقومه، ويتباهى بشجاعتهم وإيامهم التي امتلأت بالقتل والدماء، وعصيانهم الملوك اذا تجبروا وطغوا(٥):

أبا هَند فلا تعجل علينا وأنظرنا نخبرك اليقيننا
بأننا نورد الرايات بيضاً ونصدرهن حمراً قد رويننا
وأيام لنا غر طوال عصينا الملك فيها أن نديننا

والى الشجاعة تنضاف المهارة والدراية بفنون الحرب والقدرة على الخروج من مضايقتها والافلات من قبضاتها، وهي صفات تكتسب بالدربة والتجربة، يقول

عبيد بن الأبرص(٦) :

أَمَّا إِذَا كَانَ الطَّعَانُ فَإِنَّهُمْ
أَمَّا إِذَا كَانَ الضَّرَابُ فَإِنَّهُمْ
أَمَّا إِذَا دُعِيَتْ نَزَالٍ فَإِنَّهُمْ
قد يَخْضِبُونَ عَوَالِي الْمَرَانِ
أَسَدٌ لَدَى أَشْبَاهِ الْهِنِّ حَوَانِي
يَجْبُونَ لِلرُّكَبَاتِ فِي الْأَبْدَانِ

ويقول رجل من غني(٧) :

لَا تُخْفِضُ الْحَرْبُ لِلدُّنْيَا إِذَا اسْتَعْرَتْ
وَيَقُولُ عَنْتَرَةَ(٨) :

مَنْ كَلَّ أَرَوْعٌ لِلْكَمَاءِ مُنَازِلُ
وَمَعَاوِدِ التَّكْرَارِ طَالُ مُضِيئُهُ
وَيَقُولُ ضَابِيءُ بْنُ الْحَارِثِ(٩) مَتْرَجًا مَا يَجِبُ أَنْ يَأْخُذَ الْمُقَاتِلُ بِهِ نَفْسَهُ وَمَا يَجِبُ أَنْ
يَتَجَنَّبَهُ :

وَفِي الشُّكِّ تَفْرِيطٌ وَفِي الْحَزْمِ قُوَّةٌ وَيَخْطِيءُ فِي الْحَدْسِ الْفَتَى وَبَصِيبٌ

وَمَنْ خِصَالُ رِفَاقِ الْقِتَالِ الصَّبْرِ وَالثَّبَاتِ وَعَدَمُ الْفِرَارِ، وَتَفْرِيجُ الْكُرُوبِ فِي
الشَّدَائِدِ بِالسَّلَاحِ، وَادْعَاءُ انْهَمِ يَظْلُونَ عَلَى ظُهُورِ خَيْلِهِمْ تَتَعَاوَرُهُمُ الرِّمَاحُ وَلَا
يَنْحَرِفُونَ عَنِ الطَّعْنِ، بَلْ يَبْقُونَ فِي الْمِيدَانِ إِلَى أَنْ يَفُوزُوا بِالنَّصْرِ،
يَقُولُ عَنْتَرَةَ(١٠) وَأَصْفَا رِفَاقَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى وَيَلَاتِ الْحَرْبِ وَجِرَاحَاتِهَا :

وَفُؤَارِسٍ لِي عَلِمْتُهُمْ صُبْرٍ عَلَى التَّكْرَارِ وَالْكَلْمِ
وَيَقُولُ الْحَصِينُ بْنُ الْحَمَامِ(١١) مَصُورًا الْمَعْرَكَةَ الَّتِي خَاضَهَا قَوْمُهُ :

وَلَمَّا رَأَيْتَ الْوَدَّ لَيْسَ بِنَافِعِي
صَبْرْنَا وَكَانَ الصَّبْرُ فِينَا سَجِيَّةً
وَيَقُولُ عَدِيُّ بْنُ رِعْلَاءِ الْغَسَّانِي(١٢) :

فَصَبَّرْنَا النُّفُوسَ لِلطَّعْنِ حَتَّى
جَرَّتِ الْخَيْلُ بَيْنَنَا فِي الدِّمَاءِ
وَيَقُولُ ضَابِيءُ بْنُ الْحَارِثِ(١٣) :

فلا خير فيمن لا يوطن نفسه على نائبات الدهر حين تنوب

واكد الشاعر الجاهلي اهمية كرم الأصل والأخلاق الحميدة، فهي صفات ترشح القوم للاستبسال والغلبة، يقول الحادرة(١٤):

إِنَّا نَعِفُّ فَلَا نَرِيبُ حَلِيفِنَا وَنُكْفُ شُحَّ نَفْسِنَا فِي الْمَطْمَعِ
وَنَقِي بِأَمْنٍ مَالِنَا أَحْسَابِنَا وَنُجِرُّ فِي الْهَيْجَا الرِّمَاحِ وَنُدْعِي
وَنَخْوِضُ غَمْرَةً كُلَّ يَوْمٍ كَرِيهَةٍ تُرْدِي النُّفُوسَ وَغَنَمُهَا لِلْأَشْجَعِ
وَنَقِيمُ فِي دَارِ الْحِفَاظِ بِيوتِنَا زَمْنَا، وَيظَعُنُّ غَيْرُنَا لِلْأَمْرَعِ

ويقول سلامة بن جندل في قومه بني سعد(١٥):

كُنَّا نَحُلُّ إِذَا هَبَّتْ شَامِيَةٌ شَيْبِ الْمَبَارِكِ مَدْرُوسٌ مَدَافِعُهُ
بِكُلِّ وَاذِ حَطِيبِ الْجَوْفِ مَجْدُوبِ هَابِي الْمِرَاغِ قَلِيلِ الْوَدْقِ مَوْطُوبِ
كُنَّا إِذَا مَا اتَانَا صَارِخٌ فَرَعٌ وَشَدُّ كُورٍ وَجِنَاءٌ نَاجِيَةٌ
كَانَ الصُّرَاخُ لَهُ قَرَعُ الظَّنَائِبِ وَشَدُّ سَرَجٍ عَلَى جَرْدَاءِ سُرْحُوبِ

ويقول المرقش الأكبر(١٦):

لَكِنْنَا قَوْمٌ أَهَابَ بِنَا فِي قَوْمِنَا عَفَافَةٌ وَكَرَمٌ
أَسْوَالِنَا نَقِي النُّفُوسِ بِهَا مِنْ كُلِّ مَا يَدْنِي إِلَيْهِ السَّدَمُ
لَا يُبْعِدُ اللَّهُ التَّلْبِيبَ وَالْغَارَاتِ إِذْ قَالَ الْخَمِيسُ نَعَمُ

ومن الصفات التي يجب ان يتحلى بها رفاق القتال الصدق والاخلاص لما من

اجله يجاربون، يقول زهير بن ابي سلمى(١٧):

وَبِالْفُؤَارِسِ مِنْ وَرَقَاءَ قَدْ عُلِمُوا إِخْوَانِ صِدْقٍ عَلَى جُرْدِ أَبَايِلِ
وَيَقُولُ عُبَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ(١٨):

وَيَخْرُقُ مِنَ الْفَتِيَانِ أَكْرَمُ مَصْدَقًا مِنْ السِّيفِ قَدْ آخَيْتُ لَيْسَ بِمَذْرُوبِ
وَيَقُولُ عَنْتَرَةُ(١٩):

وَإِخْوَانِ صِدْقٍ صَادِقِينَ صَجِبْتُهُمْ عَلَى غَارَةٍ مِنْ مِثْلِهَا الْخَيْلُ تُسْرَجُ

ب - الخيل :

تعدّ من اولى معدات الحرب، فعلى صهواتها يتقابل الأبطال مع اعدائهم في حروبهم المبيدة المزمعة، وعلى مدى قوتها وخبرتها بالحرب تكون درجة القتال ونتيجته، ولذا كان الشعراء يبالغون في وصف الخيل بالجودة والعتق والقوة والسرعة، وتعود الحرب والخبرة بأحوالها بحيث لا تؤثر فيها شدتها واهوالها، وكان عرب الجاهلية يعدون لأيامهم وغاراتهم وحروبهم جيّد الخيل وانفسها، فقد كانت الخيل عندهم تنتقى وتربى وتدخر بحرص شديد لأوقات الحاجة، وكان الجاهلي يؤثرها في العناية والغذاء على افراد اسرته، لأنها وسيلته الأولى في السيطرة على الفضاء الحربي سواء في الهجوم والغلب ام في الهروب والمنع.

يقول عبيدة بن ربيعة محذرا احد ملوك الحيرة من ان تمتد يده الى فرسه (سكاب)، فهي مال نفيس دونه امتشاق الحسام وخوض غمار الحرب(٢٠):

أبيت اللعن إن سكابَ علق	نفيسٌ لا يُعارُ ولا يُباعُ
مفداةً، مكرمةً، علينا	يجوعُ لها السجّالُ ولا تُجاعُ
سليلةً سابقينَ تناجلاها	إذا نَسبا يضمّهما الكراعُ
فلا تطمع أبيت اللعن فيها	ومنعُكها بشيءٍ يُستطاعُ

اما عترة فقد فوّق جواده على زوجه وخصّه باللبن دونها وزجرها اذ عاتبته على ذلك وهذدها بالفراق ان هي اصرت(٢١):

لا تذكري مُهري وما أطمعتهُ	فيكون جلدك مثل جلد الأجرِبِ
إن الغُبوقَ له وانبِ مسوءة	فتأوهي ما شئتِ ثمَّ تحوبي

ويفخر الجميع ان فرسه كانت في كُنٍ وتعاهد، ولم تحرم حسن الغذاء فتهزل(٢٢):

جرداءُ كالصَّعْدَةِ المُقامَةِ لا	قُرُّ زَوَى مَتْنِها ولا حَرِمُ
-----------------------------------	---------------------------------

ويقول الأحنس بن شهاب التغلبي ان خيل قومه مصنونة مخدومة، اذ تشرب اللبن المحلوب في الغداة والعشي(٢٣):

فَيُغَبِّقَنَّ احْتِلَاباً وَيُضَبِّحَنَّ مِثْلَهَا فَهِنَّ مِنَ التَّغْدَاءِ قُبُ شَوَازِبُ
ويذكر يزيد بن خذاق الشني تعهده فرسه وجعل البان ابله جميعها حسا
عليها(٢٤):

وداويتها حتى شتت حبشية كأن عليها سُنْدُساً وَسَدُوساً
قَصْرُنَا عَلَيْهَا بِالْقَيْظِ لِقَنَاخَا رَبَّاعِيَةً وَبِازِلًا وَسَدِيدِيَا

وفرق شاعر الجاهلية بين الخليل المحاربة، والخليل عامة، فالمحاربة لا يقف
الشاعر عند صورتها الجمالية وهو الجانب الذي يبرز في تصوير الشعراء لها في اوقات
السلم، ويتضح ذلك لو وازنا بين تصوير الشاعر لجواده في السلم وتصوره في
الحرب، يقول زهير بن ابي سلمى واصفا جواده الذي اعده للصيد(٢٥):

ضَبَحَتْ بِمَسُودِ النَّوَاشِرِ سَابِحٌ تَمْرٌ اسِيلٌ الْخَدَّ نَهْدٍ مَرَاكِلُهُ
تَمِيمٌ فَلُونَاهُ فَأَكْمَلُ صُنْعُهُ فَتَمَّ وَعَزَّتُهُ يَدَاهُ وَكَاهِلُهُ
أَمِينٌ شِظَاهُ لَمْ يَخْرُقْ صِفَاقُهُ يَنْقَبَةُ وَلَمْ تُقَطِّعْ أَبَا جِلُّهُ

وينعت السليك بن السلكة فرسه (النحام) بالسرعة الفائقة والخفة
والرشاقة(٢٦):

كَأَنَّ قَوَائِمَ النَّحَامِ، لَمَّا تَحْمَلُ صُحْبَتِي، أَضْلًا، مَحَارُ
عَلَى قَرَمَاءَ، عَالِيَةَ شَوَاهُ كَأَنَّ بِيَاضَ غُرَّتِهِ خِمَارُ
ثم يقول:

كَأَنَّ مَنَاخِرَ النَّحَامِ لَمَّا دَنَا الْأَصْبَاحَ كِيرُ مُسْتَعَارُ
تَرَاهَا مِنْ يَيْسِ الْمَاءِ شُهْبَا مُخَالِطُ دُرَّةٍ مِنْهَا غِرَارُ

ويصف المرقش الأصغر فرسه الذي يخيل به ويسبق(٢٧):

أَسِيلٌ نَبِيلٌ لَيْسَ فِيهِ مَعَابَةٌ كُمَيْتٌ كَلُونُ الصَّرْفِ أَرْجَلُ أَقْرَحُ
عَلَى مِثْلِهِ آتَى النُّدَى نَخَايَلًا وَأَغْمِزُ سَرًّا: أَيُّ أَمْرِيٍّ أَرْبَحُ
وَيَسْبِقُ مَطْرُورِدًا، وَيَلْحَقُ طَارِدًا وَيَخْرُجُ مِنْ غَمِّ الْمَضِيقِ وَيُجْرَحُ

أما الخليل المحاربة فقد حشد لها الشاعر الجاهلي الصفات والصور المتصلة

بالحرب، فهو لا يملك من الوقت ما يبذل في الوصف الجمالي، لذلك تختفي الناحية الجمالية أو تكاد بل تبرز في الخيل الناحية المرعبة والدمامة وهي صفات تستدعيها الحرب لتماشيتها مع الرغبة في ارهاب العدو.
يقول عمرو بن الأهتم (٢٨):

نلقي الحديد علينا ثم تلحقنا قُبْ مَدْرِيبَةٌ شُعْتُ نَوَاصِيهَا
مَعَوَدَاتِ جِرَاحَاتِ الْخُدُودِ إِذَا كَانَ اللَّقَاءُ وَطَعْنَا فِي مَآقِيهَا
حَتَّى تَرَاهَا أَسَايِي الدَّمَاءِ بِهَا كَأَنَّمَا كَسَيْتِ حَبْرًا هَوَادِيهَا
ويقول عنترة (٢٩):

وإِنَّا نَوُدُّ الْخَيْلَ تَحْكِي رُؤُوسَهَا رُؤُوسَ نِسَاءٍ لَا يَجِدْنَ فَوَالِيَا
ومن ابرز الصفات التي تدعوها الحرب، فقد اورد منها الشاعر الجاهلي صفات الفراهة والضمور والقوة والسرعة، فبدت في وصف الفرس الخذروف عند طفيل الغنوي (٣٠):

إِذَا قِيلَ نَهَيْهَا وَقَدْ جَدَّ جَدُّهَا تَسْرَامَتْ كَخَذْرُوفِ الْوَلِيدِ الْمُثْقَبِ
وصورة الريح في قول عبد الله بن مرداس (٣١):

صَبْحَانَكُمْ الْعُوجَ الْعَنَاجِيحَ بِالضُّحَى تَمْرُنَا مَرَّ الرِّيَّاحِ السَّوَاحِكِ
وصورة النار في قول امرئ القيس (٣٢):

سَبُوحاً جُمُوحاً وَاحْضَارُهَا كَمَعْمَعَةِ السَّعْفِ الْمُسَوِّدِ
وصورة الحداة في قول عامر بن الطفيل (٣٣):

وَالْخَيْلُ تَرُدِّي بِالْكَمُاسَةِ كَأَنَّهَا جِدًّا تَتَابَعُ فِي الطَّرِيقِ الْأَقْصَدِ
وصورة العقاب في قول زيد الخيل (٣٤):

وَنَجَّكَ يَوْمَ الرَّوْعِ إِذْ حَضَرَ الْوَعْيُ مَسَحَ كَفْتَخَاءِ الْجُنَّاحِينَ كَاسِرُ
وتنضاف إلى السرعة صفة أخرى متفرعة عنها هي اليقظة والنشاط، يقول عامر بن الطفيل (٣٥):

فلو شئت نجتني سبوح طميرةً تحك بخدتها العنان وتمزغ
ويمتدح من الخيل أيضا ما توافر فيها الإقدام في الغارات والمعارك، والتمرس
والانقضاض (٣٦):

وجياداً لنا نعوّدها الإقْد دام إن غارة بدت وازبأرت
وانقضت الخيل من وادي الذئاب وقد أضغت أسنتها حمراً من الودج (٣٧)
ويقول عنتر (٣٨):

وخيل عودت خوض المنايا تشيب مفرق الطفل الوليد
واستطاع الشاعر الجاهلي الفارس رصد خلجات دقيقة ينفذ من خلالها إلى
نفس فرسه ويسجل ما بينه وبينها من تجاوب وتفاهم، وهو تفاهم يدعو إلى القول أنه
التحام كائنين - إنسان وحيوان - في كائن واحد، بينهما من التبادل الروحي والعاطفي
ما لا نعرف له إلا أمثلة نادرة في الشعر العربي القديم مثل محاوره عامر بن الطفيل
لجواده (٣٩):

وقد علم المزنوق أنني أكرهه عشية فيف الرياح كرم الشهر
إذا ازور من وقع الرماح زجرته وقلت له ارجع مقبلاً غير مُدبر
وأنبأته أن الفرار خزاية على المرء ما لم يئل عُذراً فيعذر
ألست ترى أرماحهم في شرعاً وأنت حصان ماجد العرق فاصبر
ومحاوره عنتر لجواده (٤٠):

ما زلت أرميهم بثغرة نحره ولبائه، حتى تسربل بالدم
فازور من وقع القنا بلبانه وشكا إلي بعبرة وتمحم
لو كان يدري ما المحاوره اشتكى ولكان لو علم الكلام مكلمي
ولقد شفى نفسي وأبرأ سقمها قيل الفوارس ويك عنتر أقدم
جد. السلاح:

كانت البيئة الجاهلية تساعد على وجود المنازعات والمشاحنات، وانتشار
الخوف والفرع، وتوقع الخطر في كل لحظة، مما نشأ عنه كثرة الحروب، لذا كان من

الطبيعي أن تصبح الأسلحة والمعدات الحربية ضرورية للحياة في ذلك الوقت، وأن يهتم بها العربي الجاهلي اهتماما كبيرا، ويذل كل ما يستطيع للحصول على أكبر كمية من خيرها وأجودها يقول أمية بن أبي الصلت(٤١):

وأرصدنا لريب الدهر جُرداً تكون متونها حصناً حصينا
وَخَطِيئاً كَأَشْطَانِ الرِّكَايَا وأسيافاً يُقَمَّنَ وينحنينا
وما كان للبدوي أن ينزل الأماكن المخيفة لولا اعتماده على سلاحه، يقول ربيعة بين مقروم:

وثغرٍ مَخُوفٍ أَقَمْنَا بِهِ يَهَابُ بِهِ غَيْرُنَا أَنْ يُقِيمَا
جَعَلْنَا السُّيُوفَ بِهِ وَالرَّمَاخَ معاقلنا والحديدَ النُّظِيمَا(٤٢)
وبعد الحرب كانت له الجرأة على خوض غمار الحرب، وبها كان يخيف موعديه، ويصد من يبغي ضيمه، يقول صخر الغي، بعد أن وصف معداته الحربية(٤٣):

ذلك بزّي ولم أفرطه أخاف أن يُنجزوا الذي وعدوا
فلمست عبداً لموعدي ولا أقبل ضيماً يأتي به أحد
وعلى درجة تلك المعدات من الوفرة والجودة تتوقف درجة الحرب ونتيجتها، فما أعدّ خير إعداد كان أحسن ما يصلح للقتال، يقول سعد بن مالك البكري(٤٤):

والحربُ لا يبقى لها جِهَا التَّخْيِيلُ وَالرَّمَاخُ
إِلَّا الْفَتَى الصَّبَّارُ فِي النَّجْدَاتِ وَالْفَرَسُ وَالْوَقَّاحُ
وَالنُّثْرَةُ الْحَصْدَاءُ وَالْبَيْضُ الْمُكَلَّلُ وَالرَّمَّاحُ

وما كان العربي يتمنى شيئاً يوم الشدة سوى رمح قوي حاد، وسيف حسام صقيل، وفرس جرداء سلهبة، ودرع سابغة متينة، ذلك هو كل ما كان يبغيه من مال، يقول عامر بن الطفيل(٤٥):

يسوم لا مال للمحارب في الحرِّ بِ سَيَوَى نَصَلِ أَسْمَرَ عَسَالِ
ولجامٍ في رأس أجرد كالجدِّ عِ طُؤَالِ وَأَبْيَضِ قِصَالِ

وإِلاصٍ كَالنَّهْيِ ذَاتِ فُضُولٍ ذَاكَ فِي حَلْبَةِ الْحَوَادِثِ مَالِي
وقد بلغ من اعتزاز العربي بمعدات الحرب وعظم تقديره لها أن كان لو ملكها
وحدها دون أن يكون في حيازته أي مال آخر لعدّ نفسه غنيا، ولومات عنها لكان في
توريثها ورثته من بعد خير غناء.

وسبب اهتمام العربي بمعدات الحرب أنه بها يحافظ على حياته وحياة قبيله،
ويصون شرفهم، ويدافع عن عزتهم، ويرضي رغبتهم، ويحقق أمانيتهم، يقول عامر
ابن الطفيل (٤٦):

فَمَا أَذْرَكَ الْأَوْتَارَ مِثْلَ مُحَقَّقٍ بِأَجْرَدَ طَاوٍ كَالْعَسِيبِ الْمُشَدَّبِ
وَأَسْمَرَ خَطِيٍّ وَأَبْيَضَ بَاتِرٍ وَزَعْفَ إِلاصٍ كَالغَدِيرِ الْمُشَوَّبِ
سَلَاخٌ أَمْرِيءٌ قَدْ يَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّهُ طَلُوبٌ لِثَارَاتِ الرَّجَالِ مُطَلَّبِ

وعندما نتحدث عن الأسلحة عند عرب الجاهلية ليس من همنا أن نستخرج
من شعرهم ثبثاً بأسماء الأسلحة التي وردت فيه وأنواعها وموادّ صنعها، وخصائصها
العامّة، فذاك أمر أغنانا عنه صاحب «صبح الأعشى» (٤٧)، بل غابتنا إبراز الناحية
النوعية والوظيفية والدلالة الرمزية للسلاح في نطاق معنى الحرب في الشعر الجاهلي،
فالسلاح - مهما كان بدائياً - وجه من وجوه الذكاء في الحرب، وهو ما تضيفه الثقافة
إلى الطبيعة، أي أنه امتداد للقوة في شكل ثقافي متصل بالتقنية والصناعة، وبدونه لا
يصدق الحديث عن الحرب، وهو إلى ذلك ضمان نفسي، فإذا عددنا الجواد - في
الحرب البدوية - امتداداً للساقين، فإنّ السيف والرمح والسهم امتداد لليدين، أي
تفخيم للقوة، كما أنّ الدرع والقناع تفخيم للبدن، فإذا أضفنا إلى وجود السلاح
توافر نوعيته الجيدة تمّ للمقاتل حظ مهم من حظوظ الغلب، كاف وحده أحياناً
لإدخال الوجل والرعدة على قلوب خصومه.

ولقد اهتمّ الشاعر الجاهلي في شعره الحربي إلى جانب الناحية الكميّة بنوعية
سلاحه بصورة بارزة، فقد عدّد في ذكره السيف مثلاً، الأسماء والصفات فجعل منها
ما يتعلق بمكان الصنع، فكانت صفات «الهنديّ» و «المهنّد» و «الهندوانيّ» و
«المشرفيّ» و «اليمنيّ»، وما يتعلّق بالحدّة والمضاءة فكانت صفات «الباتر» و «المخدم»

و «الصارم» و «الفيصل» و «المفصل» و «الفصال» و «العضب» و «الماضي» و «الصيقل» و «الحسام»، وجعل منها ما يتصل بالطول والاستواء فذكر «القضيب» وما يتعلق بالعرض فذكر «الصفيحة»، وما يتصل بالصلابة وصراحة المعدن فكانت صفات «الحديد» و «الأبيض» و «الذكر». وذكر من الرماح «الخطي» و «الرديني» و «السمهري» و «الدّابل» و «المعلّب» و «الأصم» و «السفّاك» و «الدقيق» و «الأسمر». ولا شك أن لهذا التعداد والتكثيف طاقة تأثيرية تكسبها الإيجاءات والمعاني فعلا مهذما لمعنويات الخصم.

وكان السلاح عند الجاهليين وخاصة عند الشعراء الفرسان لا يكاد يكون هجوميا بحتا، إذ كثر تواتر السلاح الهجومي عندهم كالسيف والرمح والسهم، في حين قلّ بصورة واضحة ذكر سلاح الدفاع والتحصن كالدرع مثلا، التي لا يذكرونها إلا في نطاق فخرهم بتمام سلاحهم قبل المعركة، أو حين تشقها رماحهم وهي لبوس أعدائهم.

وإذا تتبعنا صور السلاح عند الشاعر الجاهلي، كانت الصورة الأولى صورة مألوفة متداولة عند شاعر الحماسة ومضمونها استخدامه في قتال أعدائه؛ أي أنه وسيلة من وسائل الحرب، يقول عبيد بن الأبرص (٤٨):

وَنَصُدُّ الأَعْدَاءَ عَنَّا بِضَرْبِ ذِي خِذَامٍ، وَطَعْنُنَا بِالْحَرَابِ
ويقول الأعشى (٤٩):

جَبَّهَنَاهُمْ بِالطَّعْنِ حَتَّى تَوَجَّهُوا وَهَزُّوا صُدُورَ السَّمْهَرِيِّ الْمُقُومِ
ويقول عامر بن الطفيل (٥٠):

صَبَّحْنَاَهُمْ بِكُلِّ أَقْبَبٍ نَهْدٍ وَمُطَرِّدٍ لَهُ يَقِيدُ الحَدِيدُ
وَأَبْيَضُ يَخْطَفُ القَصْرَاتِ عَضْبٍ رَقِيقِ الحَدِّ زَيْنُهُ عَسْمُودُ

وللسلاح عند شاعر الجاهلية صور أخرى مطبوعة بطابع الأناسة إذ تبرز ما بين الفارس وسلاحه من علاقات مشحونة شحنا عاطفيا - كما رأينا في حديثنا عن الفرس - وصلات ووشائج قربى تتمثل في التلازم بين الفارس والسلاح، يقول عنترة (٥١):

سيفي أنيسي وَدُحِي كَلِمَا نَهَمْتُ أَسْدُ الدَّحَالِ إِلَيْهَا مَالٌ جَانِبُهُ
ويقول أيضا(٥٢):

وهو يَحْمِي معي على كُلِّ قِرْنٍ مِثْلَمَا لِلنَّسِيبِ يَحْمِي النَّسِيبُ
بل إن ظروف عنترة الخاصة وحماسة الحرب ونشوة النصر تصل به إلى تعشق
السلاح بدل المرأة في نوع من التعويض النادر(٥٣):

وَإِنِّي أَعَشَقُ السُّمَرَ الْعَوَالِي وَعَغِيرِي يَعَشَقُ الْبَيْضَ الرَّقَاقَا
فَعنترة الذي لم يحظ بالحَبِّ، أَحَبَّ ما اعتقد أنه كفيل بتحقيق الحَبِّ واللذة
والكمال الإنساني معا(٥٤):

وَتُطْرِبُنِي سَيْوْفُ الْمَهْنَدِ حَتَّى أَهِيْمَ إِلَى مَضَارِبِهَا اشْتِيَاقَا
وللشاعر الجاهلي في تصوير سلاحه أساليب أخرى تضيف إلى هذه العلاقة
الإنسية معاني التقليل من شأن العدو والاستخفاف به والاستهزاء منه، يقول سحيم
ابن وثيل(٥٥):

ونحن كَسَوْنَا هَامَةَ ابْنِ خُوَيْلِدٍ حُسَامًا إِذَا مَا صَادَفَ الْعَظْمَ صَمًّا
ونحن كَسَوْنَا الْمَرْءَ عَمْرًا مُهْنَدًا رَقِيقَ النَّوَاحِي كَالْعَقِيقَةِ مَجْدَمَا
ويقول عنترة(٥٦):

وسيفي كان في الهَيْجَا طَبِيئًا يُدَاوِي رَأْسَ مَنْ يَشْكُو الصُّدَاعَا
ويقول عمرو بن كلثوم في معلقته(٥٧):

نزلتُمْ مَنْزَلَ الْأَضْيَافِ مِنَّا فَعَجَّلْنَا الْقِرَى أَنْ تَشْتُمُونَا
قَرِينَاكُمْ فَعَجَّلْنَا قِرَاكُم قُبَيْلَ الصَّبْحِ مِرْدَاةً طُحُونَا
ويقول الحصين بن الحمام منددا بخصمه ومستخفا به(٥٨):

نُطَارِدُهُمْ نَسْتَقِذُّ الْجُرْدَ كَالْقَنَا وَيَسْتَقِذُّونَ السَّمْهَرِيَّ الْمُقْوَمَا

المعركة :

وصف الشعراء المعركة بأنها شرّ كبير لا ينبغي به إلا طير الشؤم، ساحتها خطيرة وهولها شديد، طعمها مرّ، وفزعها عظيم، تغصّ الشيخ المجرب، وتخلع الأفئدة، وتطير العقول، وتسقط الحامل وتشيب الولدان. والمعركة لا يقوى عليها إلا الفتى القوي الصبور على الشدائد والمكاره.

وحاول الشعراء في صورهم الشعرية للمعركة أن يصوروها بصورة بشعة مكروهة مملوءة بالأخطار والمصائب، فاتخذوا من المحسوسات التي كانت في بيئتهم ما يساعدهم على إبراز هذه الصور، وأهم ما أخذوه من المحسوسات الرّحي والنار والغبار والأسد، ومن المعنويات عبوس الخيل، فالرّحي يوضع فيها الحَب فتطحنه طحنا، وكذلك المعركة تجمع الناس ثم تبيدهم وتهلكهم، والنار تلتهم الخطب وتأتي عليه حتى يصير رمادا، وهكذا المعركة تهلك المتحاربين وتؤدي كل من يصيبه شررها، والشخص يشمّر عن ساقه عند الخطر علامة للجهد واستعداد الهجوم، وكذلك المعركة عندما تكون على وشك الشروع في القتال، والحيوان يكشف عن أنيابه حين يشتد غضبه، ويقصد إهلاك فريسته، وهكذا المعركة عندما يراد منها الإبادة(٥٩). وذكر الشاعر الجاهلي عامة والشاعر الفارس خاصة الحروب التي خاض، والحروب التي يعزم على خوضها أو يهدّد بخوضها. وذكر الحرب في مختلف أطوارها: الإعداد والسّير واللقاء والإنجاز والنهاية، وذكرها أحيانا ذكرا سريعا في نتف شعرية مجملّة، وأحيانا في قطع وأجزاء من قصائد، وخصها في مواضع كثيرة في شعره بتفصيل في ذكر مراحلها ودقائقها؛ وأصبحت الحرب عند الشاعر الجاهلي غرضا قائما في أغراض الشعر بذاته، تقصّد فيه القصائد، ويقدم له بالنسب والطلبيات(٦٠). ومن اللافت للنظر في وصف الحرب عند الشاعر الجاهلي تنوعه في أسمائها وصفاتها وكنائها، والمتواتر عنده في هذا الصدد ذكر كلمة «يوم» بمعنى حرب، ومعلوم أن «أيام العرب» هي «الوقائع الحربية التي كانت تدور في الجاهلية بين قبائل البدو، والتي دوّنت ابتداء من القرن الثاني للهجرة، دونها الرواة والإخباريون الذين اشتغلوا بالشعر الجاهلي، وهي تعني الحروب، وقبل ذلك تعني الشدائد والمحن»(٦١).

وذكر شاعر الجاهلية كلمة «يوم» غير مرة مضافة إلى مصدر مثل قوله «يوم اللقاء» مكنيا به عن الحرب تكنية لطيفة تتضمن معنى الشوق، شوقه للحرب، وكذا «يوم النزال» و«يوم الطعن» و«يوم الطعان» و«يوم الزحام» و«يوم القتال» و«يوم الهياج» كناية عن حال الغضب والثورة، وأضافه أحيانا إلى المكان الذي دارت فيه المعركة كـ «يوم العين» و«يوم المرورة» و«يوم الشعب» و«يوم النصار» و«يوم النباح» و«يوم جواثي» و«يوم المشقر»، وحدده أحيانا أخرى تحديدا ظرفيا زمانيا، يقول عامر بن الطفيل (٦٣):

بالكُوْرِ يَوْمَ ثَوَى الحُصَيْنِ وَقَدْ رَأَى عَبْدُ المَدَانِ خِيَوْهَآ تَعْدُو
وَقَدْ عَلِمُوا أَنِّي أَكْرُّ عَلَيْهِم عَشِيَّةَ فَيْفِ الرِّيحِ المُدَوْرِ
ويقول علقمة بن عبدة (٦٣):

فَقَاتَلْتَهُمْ حَتَّى أَتَقَوَّكَ بِكِبْشِهِمْ وَقَدْ حَانَ مِنْ شَمْسِ النِّهَارِ غُرُوبُ
ويقول عبيد بن الأبرص (٦٤):

وَعِدَاةَ صَبِيحِنَ الجِفَّارِ عَوَابِسَا يَهْدِي أَوَائِلُهُنَّ شُعْثُ شُرْبُ
ويقول عنثرة (٦٥):

سَلِي يَا عَيْلُ عَنَا يَوْمَ زُرْنَا قِبَائِلَ عَامِرٍ وَبَنِي كِلَابِ
والتنويح في أسماء الحرب آية على مختلف ضروب الإحساس بها وعلى ثراء أساليب تصويرها مما يعطي صورة متكاملة الجوانب عنها، ف«الحرب» هي التسمية الأشمل لمختلف جوانب الظاهرة العسكرية، وذلك لدلالاتها على الحال النفسية والفعل القتالي معا، و«المعركة» تعني المكان والحال تبعا لصيغتها الصرفية، وتبعا لمعناها الأصلي، ف«العراك»: ازدحام الإبل على الماء» (٦٦)، ومعناها «الالتحام في القتال»، مما يرشح كلمة «معركة» للاطلاع بتصوير المظهر البصري للحرب، أما كلمة «الوغى» فتطلع بتصوير المظهر الصوتي منها، وكذلك «المعمعة» - وهي صوت الحريق في القصب ونحوه - تضيف إضافة لمسية تبعا لمعناها «شدة الحر». أما كلمة «الهيجاء» ففيها معنى الغضب والثورة، وهي تلتقي بـ «الغمرة» بمعنى الشدة، و«الوقيعه» بمعنى الصدمة؛ صدمة الحرب والقتال، تعبر عن الجانب النفسي

للمحاربين وعن جَوِّ الحرب عموماً، بينما تدل صفة «العوان» على الحرب التي تطول ويحارب فيها مرّات، والأصل في «العوان» أنها صفة المرأة التي تزوجت غير مرّة، أي التي بدلت الأزواج ممّا قد يوحي بالنحس والشؤم، وهي صفة تلتقي بصفة أخرى من صفات الحرب وهي «الكريهة» وتعني الانطباع الذي تخلفه الحرب في نفوس الناس وخوفهم إياها. وبهذا نرى غناء الحقل المعجمي والدلالي المتعلّق بذكر الحرب والمعركة في شعر الشعراء الجاهليين عامة والشعراء الفرسان خاصة.

أمّا المعارك التي وصفها الشاعر الجاهلي في شعره فمنها القصير الخاطف الموجز الذي يقتصر على الهجوم، يقول عامر بن الطفيل (٦٧):

وانقَضَتِ الخَيْلُ من وادي الذُّبابِ وقد
ولقد وَرَدْنَا بنا المدينةَ شُرْباً
وإني أَكْرَهُ إذا أَحْجَمُوا

أَصْغَتْ أُسْتَهَا حُمراً مِنَ الوُدَجِ
ولقد قَتَلْنَا بِجَوْهَا الأَنْصارا
بِأَكْرَمِ مِنَ عَطْفَةِ الضَّيْغَمِ

ويقول عمرو بن الأهتم (٦٨):

فَنَحْنُ كَرَرْنَا خَلْفَكُمْ إِذْ كَرَرْتُمْ
ويقول جارية بن مُشَمَّت (٦٩):

كُررتُ الوِرْدَ يومَ جَريرِ عَوَلٍ
ويقول عوف بن عطية (٧٠):

وَنَكُرُ أَوْلَاهُمْ على أَخْرَاهُمْ
ويقول المرقش الأكبر (٧١):

فانقَضَ مثلَ الصَّقْرِ يَقدُمُهُ
أَوْ قتل الأعداءِ والفتكِ بهم وضربهم ضرباً لا هوادة فيه وإبادتهم، يقول الأضبط بن قريع (٧٢):

قَتَلْتَهُمْ وَأَجَلْتُ بِلَدَّتِهِمْ
ويقول عامر بن الطفيل (٧٣):

وَأَقَمْتُ حَوْلًا كاملاً أسبي

أَبَدْنَا حَيِّ ذِي الْبَرْزَى وَكَعْباً
ويقول بشر بن أبي خازم (٧٤):
وَصَلَقْنَا كَعْباً قَبْلَ ذَلِكَ صَلَقَةً
ويقول الحارث بن ظالم (٧٥):
فَتَكَّتْ بِهِ كَمَا فَتَكَّتْ بِخَالِدٍ
وَمَا لِكُهَا وَأَهْلَكُنَا بِشِيرًا
وَقَنَا تَعَاوَرَهُ الْأَكْفُ مَقُومًا
وَمَا كَانَ سِلَاحِي تَجْتَوِيهِ الْجَمَاجِمُ

أو العودة المظفرة المكلفة بالنصر، يقول عنترة (٧٦):

وَعُدْتُ مَحْضَبًا بِدَمِ الْأَعَادِي
ويقول عامر بن الطفيل (٧٧):
وَكَرَبُ الرُّكُضِ قَدْ خَضِبَ الْجَوَادَا

فَأَبْنَا غَائِنٍ بِمَا اسْتَفَانَا
نَسُوقُ الْبَيْضِ دَعَاوَاهَا الْأَلِيلُ
ومنها معارك أطنب شاعر الجاهلية في وصف جزئياتها ودقاتها، فجاءت مطولة، واحتل وصفها الصفحات، إذ ذكر فيها مكان الحرب وزحف المتحاربين بعضهم إلى بعض، ووصف السلاح وعمليات الهجوم والاطعان والضرب ووطيس المعركة ومداهم الزماني، واتخاذ الخوصوم وانهمامهم وفرارهم وتركهم الجرحى والقتلى والأسرى والسبايا، وذكر الخيل وما تحدثه من غبار، وذكر ما لها من فضل في إحراز النصر (٧٨):

وأكثر صور المعركة بروزاً عند شاعر الجاهلية صورة «الرحى» وصورة «النار» وصورة «الغبار» كما تتواتر في وصف شاعر الجاهلية للمعارك صور أخرى مثل صورة المقاتلين فهم «أسد» وصورة «عبوس الخيل». فالجرب رحى ترحى، وطاحونة كبرى، طحينها الرجال، فالشاعر عمرو بن كلثوم يزهو لأن قومه قادرون على نقل الطاحونة «الرحى» إلى حيث يتخندق الأعداء فيشهد الميدان طحيناً هائلاً (٧٩):

مَتَى نَنْقُلُ إِلَى قَوْمٍ رِحَانَا
يَكُونُوا فِي اللَّقَاءِ لَهَا طَحِينَا
ويقول زهير بن أبي سلمى مشبها صنيع الحرب في الرجال بصنيع الرحى بالثفال (٨٠):

فَتَعَرُّكُمُ عَرَكَ الرَّحَى بِفَالِهَا وَتَلْقَحُ كِشَافاً ثَمَّ تُنْتَجُ فَتُتِمُّ
ويقول مهلهل بن ربيعة أن هذه الرحى تطحن الأيدي التي تمسك قطبها،
خاصة إذا كانت الرحى التي هي الحرب بين الأشقاء وأبناء العمومة (٨١):

كَأَنَا غَدْوَةٌ وَبَنِي أَبِيْنَا بِنَجْنَبِ عَنِيزَةِ رَحِيَا مَدِيرِ
ويقول عنتره مشبها جولان قومه في الميدان بدورة الرحى حول قطبها، فهم
يدوسون ساحة الحرب مرة بعد مرة كالرحى، فما نجا من وطأتها من دورة لا ينجو مع
الأخرى، وفي هذا إشارة إلى إحدائهم بأعدائهم وتقصيصهم لهم في طلبهم (٨٢):

وَدُرْنَا كَمَا دَارَتْ عَلَى قَطْبِهَا الرَّحَى وَدَارَتْ عَلَى هَامِ الرَّجَالِ الصَّفَائِحُ
ويقول أبو غول الطهوي ناعتا الفوارس الذين معه، أنهم لا يملون المنايا إذا
ما دارت رحى الحرب (٨٣):

فَوَارِسٌ لَا يَمْلُونَ الْمَنَايَا إِذَا دَارَتْ رَحَى الْحَرْبِ السَّرْبُونَ
ويذكر ربيعة بن مقروم ما حلّ بفارسان الأعداء إذ صاروا عظاما بالية عندما
دارت رحى قومه (٨٤):

وصورة الرحى لئن أوحى بحركة التطويق والمحق فإنه يغلب عليها المظهر
الصوتي، فهي صورة سمعية يمثل فيها الشاعر ما يمتلئ به ميدان المعركة من ضجة
وصخب وجعجة.

وصور الشاعر الجاهلي الحرب انها نار توقد فتتقد، يصلى لظاها الأبطال،
ويحترق بلهيبها وجرها الجبناء، فعنترة يفخر بأنه مقدم لا يهاب ميدان القتال وخاصة
إذا كانت الحرب حامية الوطيس، وناها تتقد اتقادا (٨٥):

وَحُضَّتْ بِمُهْجَتِي بِحَرَ الْمَنَايَا وَنَارُ الْحَرْبِ تَتَّقِدُ اتَّقَادَا
ويقول زهير بن أبي سلمى مشبها الحرب الشديدة بنار موقدة يحطب جزل (٨٦):

إِذَا لَفِحَتْ حَرْبٌ عَوَانٌ مُضِرَّةٌ ضَرُوسٌ تَهْرُ النَّاسَ انْيَابَهَا عُصْلُ
قُضَاعِيَّةٌ أَوْ أَخْتَهَا مُضَرِّيَّةٌ يُحَرِّقُ فِي حَافَاتِهَا الْحَطْبُ الْجَزْلُ

والحرب يشتد اتقادها اذا توافر لها من يعمل على تهيجها وتثويرها، يقول زهير (٨٧):
 متى تبعثوها تبعثوها ذميمةً وتَضْرَ اذا ضَرَّيْتُموها فَتَضْرَمِ
 والحرب اذا احتدمت وتوقدت نيرانها ترى رجالها وكماتها ييلون احسن البلاء
 في القتال، يقول الأعشى في مدح اياس بن قبيصة الطائي (٨٨):
 وفي الحَرْبِ منه بلاءٌ اذا عَوَانُ تَوَقَّدَ أَجْدَاهَا

وللمعركة صورة اخرى عند شاعر الجاهلية، هي صورة «الغبار» والغبار له
 عنده تسميات عدة هي «النقع» و«العجاج» و«القتام» و«الرَّهَج». وصورة العجاج
 بصرية بحته تحتل معنى كثرة الحركة والسرعة والاشتباك، وتسير تدرجاً من «الغبار»
 الى «القتام»، ويؤكد فيها الشاعر على التناسب الطردي بين اتساع الغبار وكثافته حتى
 يشبه ظلام الليل وبين ضراوة المعركة، يقول عنتره (٨٩):

وَضْرِبٍ وَطَعْنٍ تَحْتِ ظِلِّ عَجَاجَةٍ كَجُنْحِ الدُّجَى مِنْ وَقَعِ أَيْدِي السَّلَاحِ
 تَطِيرُ رُؤُوسُ الْقَوْمِ تَحْتِ ظِلَامِهَا وَتَنْقُضُ فِيهَا كَالنَّجْمِ الشَّوَابِ
 وَتَلْمَعُ فِيهَا الْبَيْضُ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ كَلْمَعِ بُرُوقٍ فِي ظِلَامِ الْغِيَابِ

وكان الشاعر الجاهلي يربط بين العجاجة والظلمة، ويرى فيها منزلة تالية
 للنقع. يقول عامر بن الطفيل (٩٠):

يَضْرِبُونَ الْكُمَاةَ فِي ثَوْرَةِ النَّقْعِ اِذَا حَرِيْمُهُمْ بَسَدَتْ وَاسْجَهَرَتْ
 وَأَثَارَتْ عَجَاجَةٌ بَعْدَ نَقْعٍ وَصَهِيلٍ مُسْتَرَعِدٍ فَكَفَهَرَتْ

ويقول ايضا (٩١):

وَأِنِّي أُشْمِصُ بِالذَّارِعِينَ فِي ثَوْرَةِ الرَّهَجِ الْأَقْتَمِ

ولعل ابرز ما يوحي به تصوير الغبار معنى عشوائية خروج الخيل من ارض
 المعركة او دخولها فيها، عابسة كريمة المنظر لما بذلت او ستبذل من الجهد في الحرب،
 يقول بشر بن ابي خازم (٩٢):

يَخْرُجْنَ مِنْ خَلْلِ الْغُبَارِ عَوَائِسًا خَيْبَ السَّبَاعِ بِكُلِّ أَكْلَفٍ ضَيْغَمِ

ويقول الأعشى (٩٣) :

بِحَرْجِنَ مِنْ خَلَلِ الْغِيَا رِ عَوَابِسًا لِحُقِّ الْأَيَاطِلُ
ويقول خدّاش بن زهير (٩٤) :

جلبنا الخيل ساهمة اليهم عوايس يدرعن النقع قسودا
ومن الصور التي اهتم شاعر الجاهلية ابرازها وجلاءها في المعركة صورة المقاتل
التي تشبه صورة الأسد، يقول زهير بن ابي سلمى (٩٥) :

لَيْثٌ بَعَثَ يَصْطَادُ الرِّجَالَ إِذَا مَا كَذَّبَ اللَّيْثُ عَنْ أَقْرَابِهِ صَدَقَا
ويقول الأعشى (٩٦) :

فَعَدَوْنَا عَلَيْهِمْ بِكَرِّ الْوَرِّ دَكَمَا توردُ النَّضِيحُ الْهِيَامَا
برجالٍ كَالْأَسَدِ حَرَبَهَا الزَّجْرُ وَخَيْلٍ مَا تُنْكِرُ الْأَقْدَامَا
ويقول ودّك بن ثميل (٩٧) :

رُوَيْدَ بَنِي شَيْبَانَ بَعْضَ وَعِيدِكُمْ تُلاقوا غداً خيلي على سفوان
عليها الكمأة الغر من آل مازن لَيْثُ طَعَانٍ عِنْدَ كُلِّ طَعَانٍ
ويقول عوف بن عطية مفتخرا على اعدائه (٩٨) :

وَكُنَّا بِهَا إِسْدًا زَائِرًا أَبَى لَا يُحَاوِلُ إِلَّا سِوَارَا
ووازن الشاعر الجاهلي بين صورة المقاتل في المعركة وصورة الأسد في المأسدة،
يقول الأفوه الأودي (٩٩) :

فَلِمَا إِنْ رَأَوْنَا فِي وَغَاهَا كَأَسَادِ الْعَرِينَةِ وَالْحَجِيبِ
وكان الشاعر الجاهلي حريصا ان تكون صورة المقاتل تشبه صورة ليث فاتك
مجرّب يقول لبيد بن ربيعة (١٠٠) :

وَلَنْ يَعمَدُوا فِي الْحَرْبِ لَيْثًا مَجْرَبًا وَذَا نَزَلَ عِنْدَ الرَّزِيَّةِ بِإِذِلَا
والتفت الشاعر ابو قيس صيفي بن الأسلت الى صورة جديدة تلمح من
خلالها الأعداء بأقنعة الأسد، وقوم الشاعر لا يعباون بهم فيذودونهم بالسيوف (١٠١) :

نذودهم عنا بمستنة ذات عرانيين ودُفاع
كأنهم أسدٌ لدى أشبل ينهتن في غميل وإجراع
اما عوف بن عطية فقد قلب الصورة وجعل قومه يلبسون للأعداء جلود الأسد
والنُمر (١٠٢):

وَنَلْبَسُ لِلْعَدُوِّ جُلُودَ أُسْدٍ إِذَا نَلَقَاهُمْ وَجُلُودَ نَمْرِ
واذا ولد مالك بن عجلان صورتين فنتين عندما شبّه قومه المقاتلين وحركتهم
في ارض المعركة، نراه يغلب صورة الأسد على صورة الجمال (١٠٣):

يمشون في البيض والدرع كما تمشي جمال مصاعب قطف
كما تمشي الأسود في رهج المسوت اليه وكلهم تُهْفُ

اما احيحة بن الجلاح فقد انجز نصا قابل فيه بين فتیان الحرب وأسد الغابة،
فشبه الفتیان بالأسد والحرب بالغاب (١٠٤):

ولقد وجدت بجانب الضحيان شبانا مهابة
فتیان حرب في الحديد وشامرين كأسد غابة
هُم نكبوك عن الطريق فست تركب كل لابة
أعصيم لا تجزع فان الحرب ليست بالدعابة.

ويشبه خفاف بن ندبة نفسه بأسد في عرينه، وقد تاهب للصيد وطريدته
الرجال، والعلامة بقايا لحومهم ودمائهم على اشداقه (١٠٥):

ان تلتقني تلق ليثاً في عريته من اسد خفان في ارساغه فدع
لا يبرح الدهر صيداً قد تقنصه من الرجال على اشداقه القمع

وتنتهي المعركة عند الشاعر الجاهلي بصورة انتشار اجساد الجرحى وجثث
القتلى في ساحة المعركة، وتعثر خيل المنتصرين فيها، وتلطخها بدمائها، وبالأسر
والفرار، يقول عترة (١٠٦):

حَمَرَ الْجُلُودَ خُضِبِينَ مِنْ جِرْحَاهَا
وَبَطَّانَ مِنْ حَمِيِ الْوَعْيِ صَرَعَاهَا

فَأَصْدَرْنَهُمْ قَبْلَ حَيْثُ الصَّدْرُ
كَرِيمٍ لَدَى مَرْحَفٍ أَوْ مَكْرَرٍ
كَقَشِيرِ الْقِتَادَةِ غَيْبِ الْمَطْرِ
وَمِنْ رَجُلٍ وَجْهُهُ قَدْ عَفِرَ

فَفَرُّوا وَأُخْرَى قَدْ أُبِيرَتْ جُدُودُهَا
وَلَمْ نَتْرِكْ لِأَسْرَتِهِ سَوَامَا
نُسَيْنُ سَوَاعِدَا مِنْهُمْ وَهَامَا

أَعَزَّهُمَا فَقَدْ أَعْلِيكَ وَهَالِكَا
فَقَطَّرَهُ كَأَنَّمَا كَانَ وَارِكَا

حَتَّى رَأَيْتُ السُّدْهَمَ بَعْدَ سَوَادِهَا
يَعْتَشِرْنَ فِي نَقْعِ النَّجِيمِ جَوَافِلَا
وَيَقُولُ الْمَرْقَشُ الْأَكْبَرُ (١٠٧):

فَأَقْبَلْنَهُمْ ثُمَّ أَذْبَرْنَهُمْ
فِيَا رَبِّ شَلُّوْ تَحَطَّرْفَنَّهُ
وَأَخْرَ شَاصِ تَرَى جِلْدَهُ
وَكَايْسُنْ بِحُمْرَانِ مِنْ مُزْعَفِ
وَيَقُولُ عَامِرُ بْنُ الطَّفِيلِ (١٠٨):

- فَأَمَّا فَرِيقٌ بِالْمَصَامَةِ مِنْهُمْ
- اسْرَنَا حَاجِبَا فَتَوَى أَسِيرَا
وَجَمْعُ بَنِي تَمِيمٍ قَدْ تَرَكْنَا
وَيَقُولُ عَيْدُ بْنُ الْأَبْرَصِ (١٠٩):

وَنَحْنُ قَتَلْنَا الْأَجْدَلِينَ وَمَالِكَا
وَنَحْنُ جَعَلْنَا الرُّمَحَ قِرْنَا لِنُخْرِهِ
البطل:

عرف الجاهليون عامة والشعراء خاصة صفات البطل في الجاهلية، فهو ذلك الشخص الذي كانوا يعدونه ذخيرة لوقت الخطر، واهلا للاعتماد عليه في القتال، وقد تصوره شاعر الجاهلية «الرجل الكامل» او الشخص المثالي الحقيقي (١١٠).

والذي يهتم البحث في هذا المقام ان يؤلف صورة متكاملة الجوانب لبطل الحرب في الجاهلية، راسما فيها صفات المحارب الأمثل، وكيفية ادائه، وما جبل عليه من سلوك اخلاقي .

أ - صفات البطل وخصاله الحربية :

ان اول ما يطالعنا من صفات الفارس الجاهلي الحربية صفة الحذر والاستعداد للضرورة الدفاعية :

إِنِّي أَحَادِرُ أَنْ تَقُولَ ظَعِينِي هَذَا غَبَارٌ سَاطِعٌ فَتَلْبِيبٌ (١١١)
 وَأَنَّ الَّذِي يَجْعَلُ الْبَطْلَ بَطْلًا إِلَى جَانِبِ صِفَةِ دَوَامِ التَّاهِبِ لِلْحَرْبِ وَانْتِقَاءِ
 أَجُودِ الْخَيْلِ وَالسَّلَاحِ لَهَا وَتَعْمِدُهُ حَزْمًا وَاحْتِرَازًا حَتَّى لَا يَفَاجَأَ وَيُؤْخَذَ عَلَى غَرَّةٍ - صِفَةُ
 الشَّجَاعَةِ وَرِبَاطَةِ الْجَاشِ:

فَلَمْ أَنْكُلْ وَلَمْ أَجْبُنْ وَلَكِنْ شَكَّكَتُ مَجَامِيعَ الْأَوْصَالِ مِنْهُ
 تَرَكْتُ الرَّمْحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةِ فَإِنْ يَبْرَأَ فَلَمْ أَنْفِثْ عَلَيْهِ
 - صَلْبًا إِذَا خَارَ الرَّجَاءُ يَمَّتُّ بِهَا أَبَا صَخْرَ بْنَ عَمْرٍو
 بِنَافِذَةٍ عَلَى دَهْشٍ وَذَعْرِ كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرِ
 وَأَنَّ يَهْلِكُ فَذَلِكَ كَانَ قَدْرِي (١١٢) لَ أَبْلٍ مَمْتَنَعٍ الشُّكَايِمُ (١١٣)

وصفة الصبر على مكاره الحرب وتوطيد النفس على النصر:

- وَفِي الْحَرْبِ مِنْهُ بَلَاءٌ إِذَا وَصَبْرٌ عَلَى الدَّهْرِ فِي رُزْئِهِ
 - فَصَبَّرْتُ عَارِفَةً لَذَلِكَ حُرَّةً عَوَانٌ تَوَقَّدَ أَجْدَالُهَا
 وَاعْطَاءُ كَفِّ وَإِجْرَاهُمَا (١١٤) تَرَسُوا إِذَا نَفْسُ الْجَبَانِ تَطَّلَعُ (١١٥)

وصفة الاقدام والجرأة والمبادرة بالهجوم والمبادرة بالضرب، والملاحظ ان هذه
 الخصال الحربية تكتسب اكتسابا، يكتسبها المحارب من طول تمرسه بالحرب وبلائه
 فيها:

- إِنْ تَسَأَلِي الْخَيْلَ عَنَّا فِي مَوَاقِفِهَا تُخْبِرُكَ أَنِّي أَعِيدُ الْكُرَّ بَيْنَهُمْ
 وَكَانَ أَبِي عُتَيْبَةُ سَمَّهَرِيًّا ضَرُوبًا لِلْكَمِيِّ إِذَا اشْتَمَعَلَتْ
 وَقَدْ غَدَوْتُ عَلَى قِرْنِي يُشِيعُنِي وَمَا نَلْحَظُهُ مِنْ صِفَاتِ الْفَارَسِ الْجَاهِلِيِّ أَوْقَفَ حَيَاتَهُ عَلَى الْحَرْبِ.
 يَوْمَ الْمُشَقَّرِ وَالْأَبْطَالِ فِي رَزَعِجٍ إِذَا الْفَنَا حُطِمَتْ فِي يَوْمٍ مُعْتَلِجٍ (١١٦)
 فَلَا تَلْقَاهُ يَدَّخِرُ النَّصِيبَا عَوَانُ الْحَرْبِ لَا وَرَعًا هَيُوبَا (١١٧)
 مَاضٍ أَخُو ثِقَةٍ بِالْخَيْرِ مَوْسُومُ (١١٨)

وَأَنَا ابْنُ حَرْبٍ لَا إِزَالَ أَشْبَهَا لَقَدْ تَعَلَّمُ الْحَرْبُ أَنِّي ابْنُهَا
 خُلِقْتُ لِلْحَرْبِ أَحْمِيهَا إِذَا بَرَدَتْ سَعْرًا وَأَوْقَدُهَا إِذَا لَمْ تُوقَدِ (١١٩)
 وَأَبِي الْهَمَامُ بِهَا الْمَعْلَمُ (١٢٠) وَأَصْطَلِي بِلِظَاهَا حَيْثُ تَحْتَرِقُ (١٢١)

والخيل تعلّم والفوارس انسي شيخ الحروب وكهلهما وفتاهما (١٢٢)
ب - اداء البطل :

توافرت للفارس الجاهلي عناصر تتصل بجودة أداء الفعل القتالي وكماله،
واهم هذه العناصر السرعة والدقة والقوة، وقد كان ناجحا إذ عبّر عن سرعة اصابته
الخصوم بأنه «ياخذهم» أخذا:

كم فارس بين الصفوف أخذته والخيل تعثر بالقنا المتكسّر (١٢٣)
او «يخطف» الفرسان خطفا:

ولكم خَطِطْتُ مُدْرَعاً من سَرَجِهِ في الحرب وهو بنفسه لم يَشْعُرِ (١٢٤)
ويبدو من شعر الفارس الجاهلي حرصه على ان تكون طعته وضربته دقيقة
صائبة لمقاتل العدو:

وَشَفِيتُ نَفْسَ من ذَوِي يَمَنِ بِالطَّعْنِ في اللَّبَاتِ والضَّرْبِ (١٢٥)
والحكمة في ذلك لتكون قاضية، ولتدل على انها ضربة خبير بالمعارك يسددها
الى حيث ينبغي حتى يضمن لنفسه الغلب السريع، واكثر مضارب العدو ومطاعنه
ورودا في الشعر الجاهلي عامة وشعر الفارس خاصة، الأحشاء ومجتمع العظام
(المفاصل) والكلى، والنحور والتراقي:

تَمَطَّتْ بحمران المنيّة بَعْدَمَا حَشَاهُ سِنَانٌ من شَرَاةِ أُرْرُقِ (١٢٦)
شَكَكْتُ مَجَامِعَ الأوصالِ مِنْهُ بِنَافِذَةٍ على دَهَشٍ وَدُعُورِ (١٢٧)
ليس بيني وبين قيس عِتَابٌ غَيْرُ طَعْنِ الكُلَى وَضَرْبِ الرِّقَابِ (١٢٨)
وإن طَعَنَ الفوارسُ صَدْرَ قومٍ فَطَعَنِي في النّحورِ وفي التراقي (١٢٩)

ومع الدقة في الطعن يبرز عند الشاعر الفارس معنى العمق ايضا:

وما أدري ما اثوابه . . غير اني غَبَّاتُ له بالرُمحِ مُسْتَمَكِنًا يدي (١٣٠)
ولقد نكبتُ بني حُرَيْفَةَ نَكْبَةً لَمَّا طَعَنْتُ صَمِيمَ قلب الأخيّلِ (١٣١)

ومن مظاهر حسن الأداء في حروب الفارس الجاهلي القوّة، ويأتي تعبيره عنها
إما في صور الضرب العنيف:

واضرب بالسيف يوم الوغى
نقلي بحد الصفيح هامهم
واضرب القونس يوم الوغى
بالسيف لم يقصر به باعي (١٣٤)
أقذ به خلق المبرم (١٣٢)
وقلينا هامهم بها عنف (١٣٣)
او بأساليب ايجابية تصدرها صور الدماء تتدفق فائضة :

وقد أترك القرن الكمي بصدريه
دفع لأطراف الأنايل ثرة
يهزون سمرأ من رماح ردينة
يفيض سنان دماء النحور
مُشَلَّشَلَّةٌ فَوْقَ السَّطِاقِ نَفُوحُ
لها بعد إنزاف العبيط نسيح (١٣٥)
إذا حركت بضت عواملها دما (١٣٦)
ورعي يشك مع الدير قلبه (١٣٧)

والبطل الجاهلي إذ تكتمل له اسباب البطش والتفوق على عدوه، ويصبح مهابا
مخوفا جانبه، نراه يذكر اعداءه تارة في حال الجمع وتارة اخرى في حال الافراد، فان
كانوا جمعا فلهم منه ان يفرق شملهم ويقتلهم ويبيدهم :

وطاعنت جمع القوم حتى رأيتهم
ونحن نفينا مدحجا عن بلادها
فأما فسريق بالمصامة منهم
لقيناهم ببيض مرهفات
هلا سألت جموع كندة
أيام نضرب هامهم
على قلس تعدو بهم وبكار (١٣٨)
تقتل حتى عاد فلا شديد لها
فقرروا وأخرى قد أبيرت جدودها (١٣٩)
نقتلهم بها حتى أبيدوا (١٤٠)
إذ تولوا : أين أيننا
ببواتر حتى انحنيينا (١٤١)

وإن كان العدو فرداً، فغالبا ما يتخيره من الأشراف والبواسل والكمأة، ويذكر
اختلاءه به في موقع بارز من مشهد المعركة، ويأتي حديثه عنه ذاكرة بطشه به بصورة
قوية وسريعة يحدوه الثقة في صنيعه :

شككت به مجامع رخبية
غادرته للجنب غير موسد
فصار رداؤه منه طميل (١٤٢)
مثنى الأوصال عند مجال (١٤٣)

ويميل احيانا الى تفصيل فعله بمن تخيره واختلى به من الأبطال، مصورا ذلك
تصويرا داميا مرعبا :

وَقِرْنِ تَرَكْتُ الطَّيْرَ تُحْجِلُ حَوْلَهُ
حَشَاهُ السِّنَانُ ثُمَّ خَرَّ لِأَنْفِهِ
وحليل غانية تركت مجذلاً
سَبَقْتُ يسداي له بعاجل طعنة
الى قوله:

فَطَعْنَتْهُ بِالرُّمْحِ ثُمَّ عَلَوْتُهُ
عهدي به مدُّ النهار كأنما
بُهَنْدِ صَاقِي الحَدِيدَةِ مَحْدَمِ
خَضِبَ البَنَانِ ورأسه بالعِظْمِ (١٤٥)

ج - اخلاق البطل العسكرية :

ينضاف الى استعداد فارس الجاهلية الفطري للحرب، ومهارته فيها، وتفوقه
- اخلاق يمكن نعتها بأخلاق الحرب، ومنها سرعة تلبية النداء الى الحرب، لنصرة
القوم وشد أزهم :

أَجَابُوا وَإِنْ يَرْكَبُ إِلَى الحَرْبِ يَرْكَبُوا (١٤٦)
وخيَلُ المَنَايَا بالجمامِ تَعْتَسِرُ (١٤٧)
أَلَمْ تَرَ قَوْمِي إِذْ دَعَاهُمْ
إِذَا مَا مُنَادِي الحَيِّ نَادَى أَجَبْتُهُ
وإغاثتهم في المواقف الحربية الحرجة :

فَطِرْنَا عَجَالِي لِلصَّرِيخِ وَلَا تَرَى
كُنَّا إِذَا مَا أَتَانَا صَارُخُ فَرَعِ
ونجده المكروب المشرف على الموت :

بضربة فيصَل لَمَّا دَعَانِي (١٥٠)
فَنَهْنَهْتُ عَنْهُ وَالْأَسِنَّةُ شَرَعُ
لَعَالَجٍ قِدَاً فَقَلُّهُ يَتَقَعَّمُ (١٥١)
ومكروب كشفت الكرب عنه
دعاني سُمِيطُ يَوْمَ ذَلِكَ دَعْوَةٌ
ولولا دفاعي عن سُمِيطٍ وَكَرَّرِي

كما أثر عن البطل ترفعه عن الغدر:

فَأُبْلَغُ إِنْ عَرَضَتْ جَمِيعَ سَعْدِ
فَيَتَسَوُّوا لَنْ نَهِيَجَكُمُ نِيَامَا (١٥٢)

ورفضه الظلم:

أَمْ تَعْلَمِي أَنِي إِذَا الْإِلْفُ قَادَنِي إِلَى الْجَوْرِ لَا أَنْقَادُ وَالْإِلْفُ جَائِرٌ (١٥٣)

وخبرته بخطط الحرب وجوانبها الاستراتيجية والتقنية - كما يقال اليوم - عارفاً بأجوائها النفسية، وأصوب مثال على ذلك عنتر بن شداد، إذ ينظم جيشه، ويصبح فيه لتعبته ودفعه للهجوم، بعد لحظة ضعف واحجام وتردد واختياره الطريق إلى قائد جيش العدو وأبرز أبطاله، بادئاً بالأضعف من رجاله:

فَأَتَيْتَهَا وَالشَّمْسُ فِي كَبِدِ السَّمَاءِ وَالْقَوْمُ بَيْنَ مُقَدَّمٍ وَمُؤَخَّرٍ
ضَجَّوْا فَصَحْتُ عَلَيْهِمْ فَتَجَمَّعُوا وَدَنَا إِلَى خَمِيْسُ ذَاكَ الْعَسْكَرِ
فَشَكَّكْتُ هَذَا بِالْقَنَا وَعَلَوْتُ ذَا مَعَ ذَاكَ بِالذِّكْرِ الْحُسَامِ الْأَبْتَرِ
وَقَصَدْتُ قَائِدَهُمْ قَطَعْتُ وَرِيدَهُ وَقَتَلْتُ مِنْهُمْ كُلَّ قَرْمٍ أَكْبَرٍ (١٥٤)

وأورد أبو الفرج الأصفهاني في أغانيه خبراً يؤكد معرفة عنتر بالترتيب الدقيق لأفعاله في أرض المعركة، وامتلاكه خبرة عسكرية تتم عن بطل، فإذا قيل له «أنت أشجع العرب وأشدّها؟ قال: لا، قيل فيم شاع لك هذا في الناس؟ قال: كنت أقدم إذا رأيت الإقدام عزماً، وأحجم إذا رأيت الإحجام حزماً، ولا أدخل إلا موضعاً أرى لي منه مخرجاً، وكنت اعتمد الضعيف الجبان فأضربه الضربة الهائلة يطير لها قلب الشجاع فأثني عليه فأقتله...» (١٥٥).

العدو:

للعدو في الشعر الجاهلي صورتان متقابلتان تتناسب أولاهما مع ما قبل المعركة، وثانيتهما مع ما بعدها.

أ . قدوم العدو:

ورد غير صورة في الشعر الجاهلي لجيش العدو وهو يتجه إلى أرض المعركة لمقابلة الخصم، ومن هذه الصور:

صورة السحاب ذي القرّ والبرد:

فجاءوا عارضاً برداً وجئنا كَسَيْلِ الْعِرْضِ ضَاقَ بِهِ الطَّرِيقُ (١٥٦)

وصورة الغال لكثرتة :

فانقض مثل الصقر يقدّمه جيش كغلائن الشريف لهم (١٥٧)
وصورة النار المشتعلة لشدته، وصورة الطير لسرعته :

ومشعلة كالطير نهنت وردّها إذا ما الجبان يدعي وهو عاند (١٥٨)

وصورة المطر القوي المفاجيء :

سلي فزارة عن فعلي وقد نفرت في جحفل حافل كالعارض المطل (١٥٩)
وصورة السيل الجارف، كناية عن غزارة الجيش :

إذا ما مشوا في السابغات حسبتهم سيولاً وقد جاشت بهن الأباطح (١٦٠)

والشاعر الجاهلي حريص التأكيد على كثرة العدو في حال هجومه الجماعي،
أما في وصف العدو الفرد فإن الصور تتنوع كثيراً، ولكنها تلتقي في صورة الفارس
الكامل، ولهذا الفارس مظاهر ثلاث؛ مظهر يتعلق بجسمه، ومظهر يتعلق بمكانته
الاجتماعية، ومظهر يتصل بسلاحه وكفاءته الحربية.

فالخصم بدين ضخم قوي :

فلرب أبلج مثل بعلك بادن ضخم على ظهر الجواد مهيل (١٦١)
يارب قرن قد تركت مجداً ضخم الدسيعة رأس حي جحفل (١٦٢)
ولرب سيد معشر ضخم الدسيعة قد رمينا (١٦٣)

والخصم ذو شرف ورفعة، وذو مكانة في قومه، غني عليه سياء الترف ويلبس
مصبوغ النعال، وهو جواد في الأزمات متلاف :

وأسنر قد نصيت لذي سناء يرى مني تحالطة اليقين (١٦٤)
ربذ يذاه بالقسداح إذا شتا هتاك غايات التجار ملوم
بطل كأن ثيابه في سرحة مجدى نعال السبت ليس بتوام (١٦٥)

وتام السلاح فهو كمي .

لألمسن منكم كميأ بضربة إذا ما أنا شاهدت يوم ذمار (١٦٦)

وفيههم كلُّ جَبَّارٍ عنيدٍ شديد البأس مفتولُ السِّبَالِ (١٦٧)
 فالخصم محارب شجاع عنيد، وشديد المراس، ومن اللافت للنظر أن الشاعر
 الفارس يصور بطله أكمل تصوير ثم يصرعه أكمل صرع، يستهدف من ذلك إضفاء
 قيمة على انتصاره على الخصم الذي يعدُّ أقوى الأقوياء وأشجع الشجعان.

ب. انهزام العدو:

بقدر ما تبدو صورة العدو إيجابية في بداية المعركة، تبدو سلبية جدا في نهايتها،
 وأولى صور الانهزام الإذبار والفرار من ساحة القتال:

لَقَيْنَا جَمْعَهُمْ صَبْحاً فَكَانُوا كمثل الضأنِ عَادَاهُنَّ سِيدُ (١٦٨)
 ونَحْنُ صَبَحْنَا عَامِراً يَوْمَ أَقْبَلُوا سِوفاً عَلَيْنَهُنَّ النَّجَارُ بَسَوَاتِكَا
 عَطَفْنَا لَهُمْ عَظْفَ الضُّرُوسِ فَأَدْبَرُوا سِراعاً وَقَدْ بَلَ النَّجِيعُ السَّنابِكا (١٦٩)
 تَرَكَوا اللَّبُوسَ مَعَ السِّلَاحِ هَزِيمَةً يَجْرُونَ فِي عَرْضِ الْفَلَاةِ الْمُقْفِرِ (١٧٠)

وإذ يدبر الأعداء يمعن الغالبون في طرادهم وضرب مؤخرتهم حتى لا يعودوا،
 ويلجئون ديارهم ويقيمون فيها إمعانا في إذلالهم:

فإن تَدْبَرُوا يَاخِذْكُمْ فِي ظُهُورِكُمْ
 إذ أدبَرُوا فَعَمَلْنَا فِي ظُهُورِهِمْ
 قَتَلْتَهُمْ وَأَجَلَّتْ بِلَدَّتِهِمْ
 ما تعمل النارُ في الخلفي فتَحْتَرِقُ (١٧٢)
 وأقمتُ حَولاً كاملاً أُسْبِي (١٧٣)

ويصور الشاعر الجاهلي ساحة المعركة بعد فرار الأعداء، ذاكرا صور الجرحى
 والأسرى والقتلى في تعابير تتكرر فيها أفعال بعينها هي «تركت» و«غادرت» في جميع
 خواتم معاركه تقريبا، فمن صورة مفردة يعدو مغرر جسمه بالرمح.

تَرَكَتُ الرَّمْحَ يَبْرُقُ فِي صَلَاةٍ كَأَنَّ سِنَانَهُ خُرْطُومُ نَسْرٍ (١٧٤)
 وَغَادَرَنَ نَضْلَةً فِي مَعْرِكٍ يَجْرُ الأَسِنَّةُ كَالْمُحْتَطِبِ (١٧٥)

إلى صورة ثانية مفردة لعدو جريح أسير يعالج جرحا في ذراعيه:

وقاظُ ابنِ حِصْنِ عانِياً في بيوتنا يُعالجُ قِداً في ذِراعِيهِ مُصْحَباً (١٧٦)
 يَجْرُكَ رِجْلَهُ رُعْباً وفيه سنانُ الرَّمْعِ يلمعُ كالشَّهابِ (١٧٧)

إلى صورة ثلاثة مركبة تجمع بين عنصرين فأكثر من الأسرى والجرحى والقتلى :

فَهُمْ ثَلَاثَةٌ أَفْرَقَاءَ: فَسَابِحٌ وَمُكَبَّلٌ يُفْدَى بِوَأْفِرِ مَالِهِ أَوْ بَيْنَ تَمَنُّونٍ عَلَيْهِ وَقَوْمِهِ فَأَقْرَرْتُ عَيْنِي حِينَ ظَلُّوا كَأَنَّهُمْ صَرِيحٌ عَلَيْهِ الطَّيْرُ تَتَبَّخُ عَيْنُهُ فَأَبْلَغُ إِنْ عَرَضَتْ بَنِي كِلَابٍ وَعَادَرْنَا بُرَيْكِيكُمْ جَمِيعاً وَضَرَجْنَا عُبَيْدَةَ بِالْعَوَالِي

في الرَّمْحِ يَعْتُرُّ فِي النَّجِيعِ الْأَحْمَرِ إِنْ كَانَ صَاحِبَ هَجْمَةٍ أَوْ أَيْصَرَ إِنْ كَانَ شَاكِرَهَا وَإِنْ لَمْ يَشْكُرْ (١٧٨) يِطْنَ الْإِيَادِ خُشْبٌ أَثْلٌ مُسْنِدٌ وَأَخْرُ مَكْبُولٌ يَمِيلُ مُقَيِّدٌ (١٧٩) فَإِنَا نَحْنُ أَفْعَضْنَا بِجِجِرَا نَعْشِي مِنْ لُحُومِهَا النَّسُورَا فَاصْبَحَ مُوْتَقَا فِينَا أُسِيرَا (١٨٠)

ومن عادة الشاعر الجاهلي الفارس أن يتغنى أواخر المعارك بأسماء من يقتل من

الأبطال والسادة :

فَعُودِرٌ مِنْهُمْ عَمْرُو وَعَمْرُو وَعَبْدُ اللَّهِ عُوْدِرٌ وَابْنُ بَشْرٍ لَقِينَاهُمْ بَبِيضٍ مُرَهَفَاتٍ وَقَتَلْتُ فَارِسَهُمْ رَبِيعَةَ عُنُوءَ وَابْنِي رَبِيعَةَ وَالْحَرِيشَ وَمَالِكَا وَأَسْوَدُ وَالْكُمَسَاءُ بِهَا شُهُودٌ وَعَتَابٌ وَمَرَّةٌ وَالسُّوْلَيْدُ نَقَتْلُهُمْ بِهَا حَتَّى أُبَيْدُوا (١٨١) وَالْهَيْذَبَانُ وَجَابِرُ بْنُ مَهْلَهْلٍ وَالزَّبْرَقَانُ غَدَا طَرِيحُ الْجَنْدَلِ (١٨٢)

وتحتل مكانا بارزا من مشهد انتشار جثث القتلى والجرحى - صورة الجوارح

والضواري :

تَرْكْنَا الْعُرْجَ عَاكِفَةً عَلَيْهِمْ لَعْمَرِي لِأَشْبَعْنَا ضِبَاعَ عُنَيْزَةَ تَرْكْتُ الطَّيْرَ عَاكِفَةً عَلَيْهِ

وللغُرْبَانِ مِنْ شَبَعٍ نَغِيقُ (١٨٣) إِلَى الْحَوْلِ مِنْهَا وَالنُّسُورَ الْقَشَاعِمَا (١٨٤) كَمَا تَرْدِي إِلَى الْعُرْسِ الْغَوَانِي (١٨٥)

وإذا فرّق شمل الأعداء وذهبوا بين هارب وأسير وجريح وقتيل ، برزت آخر

صور الإذلال والإهانة، وهي صورة نسائهم بواكي مسببات :

إِذَا جَاءَ سِرْبٌ مِنْ نَسَاءٍ يُعَدِّنُهُ إِذَا مَا عَادَهُ مِنْهَا نَسَاءٌ

تَبَادَرْنَ شَتَّى كُلُّهُنَّ تَنُوحُ (١٨٦) سَفَحْنَ الدَّمَعَ مِنْ بَعْدِ الرَّنِينِ (١٨٧)

وَتَرَكْتُ نِسْوَتَهُ لَهْنٌ تَفْجُجُ يَنْدُبْنَهُ أَصْلًا بِنُوحٍ مُعْبُولٍ (١٨٨)
وَأَزْدَفْنَا نِسَاءَهُمْ وَجِئْنَا وَقَدْ دَمِيَّتْ مِنَ الْخَمَشِ الْخُدُودُ (١٨٩)

وهكذا تنتهي المعارك بقلب صورة العدو، فبقدر ما يكون قدومه هائلا مرعبا،
تكون نهايته سعيدة مفرحة .

وجملة القول أن صورة الحرب عند الشاعر الجاهلي الفارس ثرة غزيرة المادّة،
متنوعة المظاهر، متعدّدة الأبعاد، قوية مرعبة أيان دارت رحاها، وحيثما وصفت .

الهوامش

- ٠٠١ ابن خلدون، ج ٢، ص ٨٢٣.
- ٠٠٢ ابن منظور، مادة «حرب».
- ٠٠٣ عبد الرحمن، ص ٥.
- ٠٠٤ ابن العبد، ص ٦٤.
- ٠٠٥ التبريزي، شرح القصائد العشر، ص ٣٣١، ص ٣٣٢.
- ٠٠٦ ابن الأبرص، ص ١٣١.
- ٠٠٧ الأصمعي، الأصمعية رقم ١٢.
- ٠٠٨ ابن شدّاد، ص ١٣١.
- ٠٠٩ المعيني، ص ٣٦٩.
- ٠١٠ ابن شدّاد، ص ١٥٥.
- ٠١١ الضبي، المفضلية رقم ١٢.
- ٠١٢ الأصمعي، رقم ٥١.
- ٠١٣ المعيني، ص ٣٦٩.
- ٠١٤ الحادرة، ص ٥١-٥٣.
- ٠١٥ الضبي، رقم ٢٢.
- ٠١٦ الضبي، رقم ٥٤.
- ٠١٧ ابن أبي سلمى، ص ٣٠٩.
- ٠١٨ ابن الأبرص، ص ٢٥.
- ٠١٩ ابن شدّاد، ص ٣٥.
- ٠٢٠ البغدادي، ج ٢، ص ٤١٣.
- ٠٢١ ابن شدّاد، ص ٢٠.
- ٠٢٢ الضبي، رقم ٧.
- ٠٢٣ الضبي، رقم ٤١.
- ٠٢٤ الضبي، رقم ٧٩.

- ٠٢٥ ابن أبي سلمى ، ص ١٢٨ ، ص ١٢٩
- ٠٢٦ ابن الكلبي ، ص ٦٢
- ٠٢٧ الضبي ، رقم ٥٥
- ٠٢٨ المعيني ، ص ١٧٤
- ٠٢٩ ابن شدّاد ، ص ١٩٣
- ٠٣٠ الغنوي ، ص ٦
- ٠٣١ ابن عبد ربه ، ج ٣ ، ص ٧٨
- ٠٣٢ امرؤ القيس ، ص ٨٥
- ٠٣٣ ابن الطفيل ، ص ٥٦
- ٠٣٤ البحري ، ص ٥٢
- ٠٣٥ ابن الطفيل ، ص ٨٢
- ٠٣٦ ابن الطفيل ، ص ٣٢
- ٠٣٧ ابن الطفيل ، ص ٣٧
- ٠٣٨ ابن شدّاد ، ص ٥٤
- ٠٣٩ ابن الطفيل ، ص ٦١ ، ص ٦٢
- ٠٤٠ ابن شدّاد ، ص ١٥٣ ، ص ١٥٤
- ٠٤١ شيخو ، ص ٢٦٤
- ٠٤٢ الضبي ، رقم ٣٩
- ٠٤٣ هذيل ، د. ت
- ٠٤٤ شيخو ، ص ٢٦٤
- ٠٤٥ ابن الطفيل ، ص ١٠٢
- ٠٤٦ ابن الطفيل ، ص ٢٧ ، ص ٢٨
- ٠٤٧ القلقشندي ، ج ١١ ، ص ١٣٩
- ٠٤٨ ابن الأبرص ، ص ٢٣
- ٠٤٩ الأعشى ، ص ١٧٧
- ٠٥٠ ابن الطفيل ، ص ٤٩

- ٠٥١ ابن شداد، ص ٩
- ٠٥٢ ابن شداد، ص ٢٣
- ٠٥٣ ابن شداد، ص ١١٤
- ٠٥٤ ابن شداد، ص ١١٤
- ٠٥٥ المعيني، ص ٢٦٣، ٢٦٤
- ٠٥٦ ابن شداد، ص ١٠٣
- ٠٥٧ التبريزي، ص ٣٦١
- ٠٥٨ الضبي، رقم ١٢
- ٠٥٩ الجندي، ص ٧٤ وما بعدها.
- ٠٦٠ المرقش الأكبر، المفضلية، رقم ٥٤، ابن الأسلت، المفضلية، رقم ٧٥،
ابن أبي خازم، المفضلية رقم ٩٧، ورقم ٩٨، ابن عطية، المفضلية رقم
١٢٤، ابن الأبرص، ص ٢٣، ص ٣٢-٣٤، ص ٤٩-٥٠، الأعشى،
ص ١٢٧-١٢٩، ابن الطفيل، ص ١٠٧-١١٤.
- ٠٦١ اليعلاوي، عدد ٢٠
- ٠٦٢ ابن الطفيل، ص ٤٢، ص ٦٤.
- ٠٦٣ الضبي، رقم ١١٩
- ٠٦٤ ابن الأبرص، ص ٧
- ٠٦٥ ابن شداد، ص ١٤
- ٠٦٦ ابن منظور، مادة «عرك»
- ٠٦٧ ابن الطفيل، ص ٣٧، ص ٧٧، ص ١٢٠
- ٠٦٨ ياقوت الحموي، ج ٤، ص ١٨١
- ٠٦٩ الأمدي، ص ١٣٩
- ٠٧٠ الضبي، رقم ٩٤
- ٠٧١ الضبي، رقم ٥٤
- ٠٧٢ المعيني، ص ٤٢
- ٠٧٣ ابن الطفيل، ص ٦٠ ص ١١٠

- ٠٧٤ الضبي، رقم ٩٩
- ٠٧٥ الضبي، رقم ٨٨
- ٠٧٦ ابن شداد، ص ٥٧
- ٠٧٧ ابن الطفيل، ص ٩٧
- ٠٧٨ الأصمعي، رقم ٦٩، ورقم ٧٠، الضبي رقم ٩٣، ورقم ٩٩، ورقم ١١٣، وابن الطفيل، ص ٤٢ وما بعدها، ص ٤٩ وما بعدها، ص ٩٤ وما بعدها، ص ١٠٢، ص ١٤٨ وما بعدها، المعيني، ص ٩٧، ص ٩٨، ص ١٧٧، ص ٢٦٤ - ٢٦٥، ص ٤٠٦ - ٤٠٧، ص ٤٢٦، ابن الأبرص، ص ٣ - ٧، ص ٩٣ - ٩٤، ص ١٣٦ - ١٣٨.
- ٠٧٩ النحاس، ص ٦٣٢
- ٠٨٠ ابن أبي سلمى، ص ١٩
- ٠٨١ ابن عبد ربه، ج ٦، ص ٦٥
- ٠٨٢ ابن شداد، ص ٤٤
- ٠٨٣ التبريزي، شرح ديوان الحماسة، ج ١، ص ١٦
- ٠٨٤ الضبي، رقم ٣٨
- ٠٨٥ ابن شداد، ص ٥٧
- ٠٨٦ ابن أبي سلمى، ص ١٠٣، ص ١٠٥
- ٠٨٧ ابن أبي سلمى، ص ١٩
- ٠٨٨ الأعشى، ص ٢١٧
- ٠٨٩ ابن شداد، ص ١٦
- ٠٩٠ ابن الطفيل، ص ٣٤
- ٠٩١ ابن الطفيل، ص ١٢٠
- ٠٩٢ الضبي، رقم ٩٩
- ٠٩٣ الأعشى، ص ٣٩٩
- ٠٩٤ الأصفهاني، ج ٢٢، ص ٧٠
- ٠٩٥ ابن أبي سلمى، ص ٥٤

الأعشى ، ص ٢٩٩	٠٩٦
ابو تمام ، ديوان الحماسة ، ج ١ ، ص ٥٧	٠٩٧
الضبي ، رقم ١٢٤	٠٩٨
الأودي ، ص ٩	٠٩٩
ابن ربيعة ، ص ٢٥١	١٠٠
ابن الأسلت ، ص ٨٠	١٠١
الضبي ، رقم ٩٥	١٠٢
الأصفهاني ، ج ٣ ، ص ٢١	١٠٣
ابن الجلاح ، ص ٦٣	١٠٤
الأصفهاني ، ج ١٦ ، ص ١٤٣	١٠٥
ابن شداد ، ص ١٨٥	١٠٦
الضبي ، رقم ٥٢	١٠٧
ابن الطفيل ، ص ٤٦ ، ص ١١٣	١٠٨
ابن الأبرص ، ص ٩٣	١٠٩
الجندي ص ٩٠	١١٠
ابن شداد ، ص ٢٠	١١١
الضبي ، رقم ١٣ ، الشعر لرجل من عبد القيس	١١٢
القيالي ، ج ٢ ، ص ٣١١ ، الشعر للزبرقان بن بدر	١١٣
الأعشى ، ص ٢١٧	١١٤
ابن شداد ، ص ١٠٤	١١٥
ابن الطفيل ، ص ٣٨	١١٦
ابن عبد ربه ، ج ٥ ، ص ٢٥٠ ، الشعر لأمينة بنت عتبية	١١٧
الضبي ، رقم ١٢٠ ، الشعر لعلقمة بن عبدة	١١٨
ابن الطفيل ، ص ٥٧	١١٩
ابن الطفيل ، ص ١١٩	١٢٠
ابن شداد ، ص ١١١	١٢١

ابن شداد، ص ١٨٨	١٢٢
ابن شداد، ص ٨٧	١٢٣
ابن شداد، ص ٨٧	١٢٤
ياقوت الحموي، ج ١، ص ٢١٩، الشعر للأضبط بن قريع	١٢٥
المعيني، ٨٨، الشعر للأهتم بن سمي	١٢٦
الضبي، رقم ١٣، الشعر لرجل من عبد القيس.	١٢٧
ابو تمام، الوحشيات، ص ٤٢، الشعر لعمر بن الأهتم.	١٢٨
ابن شداد، ص ١١٤	١٢٩
المعيني، ص ٤٦٥، الشعر للطريف بن تميم.	١٣٠
المعيني، ص ٤٦٥، الشعر لطريف بن تميم.	١٣١
ابن شداد، ص ١٣٥	١٣١
ابن الطفيل، ص ١٢٠	١٣٢
ابن الخطيم، ص ١١٥	١٣٣
ابن الأسلت، ص ٧٩	١٣٤
ابن الأبرص، ٣٢.	١٣٥
الضبي، رقم ١٢، الشعر للحصين بن الحمام	١٣٦
ابن شداد، ص ٨	١٣٧
المعيني، ص ٤٠٦، الشعر لحريث بن سلمة.	١٣٨
ابن الطفيل، ص ٤٦	١٣٩
ابن الطفيل، ص ٥٠	١٤٠
ابن الأبرص، ص ١٣٦ وما بعدها	١٤١
ابن الطفيل، ص ١٠٠	١٤٢
الضبي، رقم ١٢٠، الشعر لعلقمة بن عبدة.	١٤٣
المعيني، ص ٢٧٧، الشعر لضمرة بن ضمرة	١٤٤
ابن شداد، ص ١٤٩، ص ١٥١	١٤٥
المعيني، ص ٤٠٨، الشعر لحريث بن سلمة	١٤٦

ابن شداد، ص ٨٢	١٤٧
المعيني، ص ٢٣٤، الشعر لشميت بن زنباع	١٤٨
الضبي، رقم ٢٢، الشعر لسلامة بن جندل	١٤٩
ابن شداد، ص ١٧٨	١٥٠
ابن الطفيل، ص ٨٢	١٥١
ابن الطفيل، ص ١١٥	١٥٢
ابن الطفيل، ص ٧٥	١٥٣
ابن شداد، ص ٨٧	١٥٤
الأصفهاني، ج ٨، ص ٢٤١ - ٢٤٢.	١٥٥
الأصمعي، رقم ٦٩، الشعر للمفضل النكري.	١٥٦
الضبي، رقم ٥٤، الشعر للمرقش الأكبر.	١٥٧
الضبي، رقم ٩٣، الشعر لضمرة بن ضمرة.	١٥٨
ابن شداد، ص ١٣٢	١٥٩
ابن شداد، ص ٤٣	١٦٠
ابن شداد، ص ١٣٧	١٦١
ابن الطفيل، ص ٩٢	١٦٢
ابن الأبرص، ص ١٣٨	١٦٣
ابن الأبرص، ص ١٣٤	١٦٤
ابن شداد، ص ١٥١، ص ١٥٢	١٦٥
المعيني، ص ٤٠٧، الشعر لحريث بن سلمة.	١٦٦
ابن شداد، ص ١٣٧	١٦٧
ابن الطفيل، ص ٥٠	١٦٨
ابن الأبرص، ص ٩٣	١٦٩
ابن شداد، ص ٨٦	١٧٠
الأصمعي، رقم ٢٩، الشعر لدريد بن الصمة.	١٧١
ابن شداد، ص ١١١	١٧٢

- ١٧٣ ياقوت الحموي، ج ١، ص ٢١٩، الشعر للأضبط بن قريع .
- ١٧٤ الضبي، رقم ١٣، الشعر لرجل من عبد القيس .
- ١٧٥ ابن شداد، ص ١٧
- ١٧٦ الضبي، رقم ١١٣، الشعر لربيعة بن مقوم .
- ١٧٧ ابن شداد، ص ١٤
- ١٧٨ الضبي، رقم ٩٤، الشعر لعوف بن عطية
- ١٧٩ الأصمعي، رقم ٦٧، الشعر لمالك بن نويرة .
- ١٨٠ ابن عبد ربه، ج ٥، ص ١٧٩، الشعر لعوراء السليطية .
- ١٨١ ابن الطفيل، ص ٥٠
- ١٨٢ ابن شداد، ص ١٣٥
- ١٨٣ الأصمعي، رقم ٦٩، الشعر للمفضل النكري .
- ١٨٤ الضبي، رقم ٨٣، الشعر لعبد المسيح بن عسلة العبدي .
- ١٨٥ ابن شداد، ص ١٧٩
- ١٨٦ ابن الأبرص، ص ٣٣
- ١٨٧ ابن الأبرص، ص ١٣٤
- ١٨٨ ابن الطفيل، ص ٩٢
- ١٨٩ ابن الطفيل، ص ٥١

المصادر والمراجع

- الأمدي ، ابو القاسم الحسن بشر بن يحيى ، المؤلف والمختلف ، تحقيق عبد الستار فراج ، القاهرة ، مطبعة الحلبي ، ١٩٦١ .
- ابن الأبرص ، عبيد ، الديوان ، تحقيق وشرح الدكتور حسين نصار ، ط١ ، مصر ، شركة مكتبة ومطبعة البابي الحلبي واولاده ، ١٩٥٧ .
- ابن الأسلت ، ابو قيس صيفي ، الديوان ، جمع وتحقيق الدكتور حسن محمد باجودة ، القاهرة ، من منشورات مكتبة دار التراث ، ١٩٧٣ .
- الأصفهاني ، ابو الفرج علي بن الحسين ، الأغاني ، تحقيق عبد الستار احمد فراج ، ط٣ ، بيروت ، دار الثقافة ، ١٩٧٨ .
- الأصمعي ، ابو سعيد عبد الملك بن قريب بن عبد الملك ، الأصمعيات ، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون ، بيروت ، د.ت .
- الأعشى ، ميمون بن قيس ، الديوان ، شرح وتعليق الدكتور محمد محمد حسين ، بيروت ، دار النهضة العربية للطباعة والنشر ، ١٩٧٢ .
- امرؤ القيس ، الديوان ، بيروت ، طبعة دار صادر ، د.ت .
- الأودي ، الأفوه ، شعره ، تحقيق عبد العزيز الميمني ، بيروت ، طبعة دار الكتب العلمية ، د.ت .
- البحتري ، ابو عبادة الوليد بن عبيد ، الحماسة ، تحقيق لويس شيخو ، ط٢ ، بيروت ، دار الكتاب العربي ، ١٩٦٧ .
- البغدادي ، عبد القادر بن عمر ، خزنة الأدب ولب لباب لسان العرب ، تحقيق عبد السلام محمد هارون ، القاهرة ، طبعة المنيرة ، دار الكاتب العربي ، ١٩٦٧ .
- التبريزي ، ابو زكريا يحيى بن علي ، شرح القصائد العشر ، تحقيق الدكتور فخر الدين قباوة ، ط٤ ، بيروت ، منشورات دار الآفاق الجديدة ، ١٩٨٠ .
- ابو تمام ، حبيب بن اوس الطائي .

- الحماسة، تعليق محمد عبد المنعم خفاجي، القاهرة، مطبعة صبيح، ١٩٥٥.
- الوحشيات، تحقيق عبد العزيز الراجكوني وزاد في حواشيه محمود شاكر، القاهرة، دار المعارف، ١٩٦٣.
- ابن الجلاح، احيحة، الديوان، تحقيق الدكتور حسن محمد باجودة، الطائف، مطبعة شركة مكة للطباعة والنشر، ١٩٧٩.
- الجندي، علي، شعر الحرب في العصر الجاهلي، ط٣، بيروت، مكتبة الجامعة العربية، ١٩٦٦.
- الحادرة، قطبة بن اوس بن محمد، الديوان، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، بيروت، دار صادر، ١٩٨٠.
- ابن الخطيم، قيس، الديوان، تحقيق الدكتور ناصر الدين الأسد، ط٢، بيروت، دار صادر، ١٩٦٧.
- ابن خلدون، عبد الرحمن بن محمد، المقدمة، تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي، ط٢، القاهرة، طبعة لجنة البيان العربي، ١٩٦٥.
- ابن ابي سلمى، زهير، شرح الديوان، صنعه ثعلب، القاهرة، نسخة مصورة عن طبعة دار الكتب، من منشورات الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٤.
- ابن شداد، عنترة، شرح الديوان، تحقيق وشرح عبد المنعم عبد الرؤوف شلبي، ط١، بيروت، طبعة دار الكتب العلمية، ١٩٨٠.
- شيخو، لويس، شعراء النصرانية، بيروت، مطبعة الآباء المرسلين اليسوعيين، ١٩١٢.
- الضبي، المفضل بن محمد بن يعلى، المفضليات، تحقيق وشرح احمد محمد شاكر وعبد السلام محمد هارون، ط٦، بيروت، ١٩٦٤.
- ابن الطفيل، عامر، الديوان، تحقيق كرم البستاني، بيروت، طبعة دار صادر، ١٩٧٩.
- ابن عبد ربه، أبو عمر احمد بن محمد الأندلسي، العقد الفريد، شرح وضبط

- احمد امين ورفيقه، القاهرة، طبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر، «اكثر من طبعة» .
- عبد الرحمن، عفيف، الشعر وايام العرب في الجاهلية، ط ١، بيروت، دار الأندلس، ١٩٨٤ .
- ابن العبد، طرفة، الديوان، تحقيق علي الجندي، القاهرة، مطبعة الرسالة، مكتبة الأنجلو المصرية، ١٩٥٨ .
- الغنوي، طفيل، الديوان، تحقيق محمد عبد القادر، بيروت، مطبعة معتوق اخوان، ١٩٦٨ .
- القالي، ابو علي، الأمالي، القاهرة، دار الكتب المصرية، ١٩٢٦ .
- الفلقشندي، ابو العباس، صبح الأعشى في صناعة الانشا، القاهرة، طبعة المؤسسة المصرية العامة للترجمة والطباعة والنشر، ١٩٦٣ .
- ابن الكلبي، ابو المنذر هشام بن محمد، انساب الخيل في الجاهلية والاسلام واخبارها، تحقيق احمد زكي، القاهرة، الدار القومية، ١٩٦٥ .
- المعيني، عبد الحميد محمود، شعر بني تميم في العصر الجاهلي، بريدة، منشورات نادي القصيم الأدبي، ١٩٨٢ .
- ابن منظور، ابو الفضل جمال الدين محمد بن كرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ١٣٧٤ .
- النحاس، ابو جعفر، شرح القوائد التسع المشهورات، تحقيق احمد خطاب، بغداد، مطبعة الحكومة، ١٩٧٣ .
- هذيل، شرح ديوان اشعار الهذليين، صنعه السكري، مصر، طبع دار الكتب، ١٩٤٨ .
- ياقوت الحموي، شهاب الدين ابو عبد الله، معجم البلدان، بيروت، دار احياء التراث العربي، د.ت .